# آراء حول أزمة حضارة العصر وسُبل إنقاذها

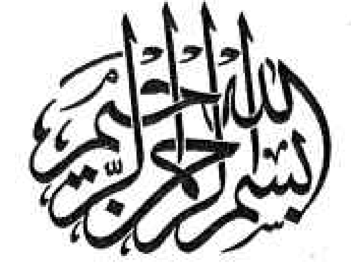
و مقالات أخرى

محمد رجب

الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة



**آراء حول أزمة حضارة**
**العصر وسبل إنقاذها**
**ومقالات أخرى**





الطبعة الأولى
٢٠٢٢م

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/٢٦٤٦٩

الترقيم الدولى: ٩٧٨-٩٧٧-٧٢٦-٠٤٠-٩

الدار العربيـة للكتـاب

# آراء حول أزمة حضارة العصر وسُبل إنقاذها

## ..ومقالات أخرى

د. مصطفى حلمي

# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد،

فيبدو لمن يتتبع الدراسات والمؤلفات والبحوث المتصلة بأزمة حضارة العصر، يبدو له عن يقين أن مرحلة ازدهارها قد انقضت وأصبحت تعاني من مرحلة التدهور والانحدار.

إن الذي يعنينا أمام هذه المرحلة المعاصرة هو دعوتنا للمستغربين من بني جلدتنا بالتوقف تمامًا عن المطالبة بتقليدها والكف عن السير وراءها.

ولم تسلم الولايات المتحدة الأمريكية أيضًا من توقع الانحدار بعد التفوق الذي ظل لعقود من الزمان، ففي دراسة مؤرخ جامعة ييل بول كنيدي أن لسقوط الإمبراطوريات ثلاثة أسباب رئيسة هي: تكاليف بلا نهاية للأمن الداخلي، والاتساع المتزايد في الميزانية العسكرية والوجود العسكري الدولي وصعود القوى المتنافسة في التجارة والمنافسة التجارية[1].

وفي عام ٢٠٢١م تحطمت هيبة الولايات المتحدة الأمريكية بسبب هزيمتها أمام طالبان بأفغانستان بعد حرب دامت عشرين عامًا وهو مؤشر أيضًا لانحدار مكانتها كإمبراطورية عالمية.

---

(١) بول تود وآخران (صناعة الأكاذيب والجواسيس) ص ٢٠٣، ترجمة علاء الدين عبد الرحمن -إصدارات سطور الجديدة - القاهرة سنة ٢٠١٠م.

يقول د. سعيد اللاوندي (القرن الحادي والعشرون لن يكون أمريكيًا وإنما سيكون بالضرورة متعدد القطبية ومتعدد الثقافات أيضًا)[1].

ويتوقع الدكتور جلال أمين تقلص نفوذ الولايات الأمريكية أمام اليابان والصين والدول الدائرة في فلكهما[2].

لقد دأب المستغربون على المطالبة بالانسلاخ من تراثنا وقيمنا وهويتنا بحجة مواكبة العصر وتأسيس نهضة بناء على فلسفات الغرب ونظمه، والمناداة بشعارات (العقلانية) و(التنوير) و(الحداثة) وغيرها من الشعارات التي تبيّن مع التجارب زيفها، وآثارها المسمومة على مجتمعاتنا، وبخاصة من جرؤ منهم على الدعوة بتطوير الشريعة الإسلامية وهو ما يعبر عن أكبر زلاتهم!!

فما قولهم الآن وتلك الحضارة التي صارت أشبه بسفينة على وشك الغرق وأخذ ركابها يفرون منها نجاة بأنفسهم؟!

هذا، وقد دعمنا تلك الدعوة بأسانيد وحجج مستنتجة من أقوال نخبة من علماء وفلاسفة الشرق والغرب أجمعوا على تفضيل الإسلام كأسلوب للحياة وحضارة أرقى، وأنه يمتلك من حقائق خالدة مجردة عن حدود الزمان والمكان ولا يزال قادرًا على مخاطبة أرقى العقول البشرية، وهذا هو وصفي للمقال الأول. إن اتفاقهم جميعًا على أن الإسلام كعقيدة وشريعة ومعاملات وقيم أخلاقية وحضارة راقية أنارت البشرية هو الكفيل بإنقاذهم من معاناتهم النفسية والعصبية، إن هذا الاتفاق في الرأي المستند إلى الدراسة المقارنة والتدبّر ومعاناتهم الشخصية من رزايا ومساوئ تلك الحضارة يثير انتباهنا ويدفعنا إلى التساؤل:

---

(١) د. سعيد اللاوندي (القرن الحادي والعشرون.. هل يكون أمريكيًا) ص ١٠٦، ط نهضة مصر يناير ٢٠٠٢م.

(٢) د. جلال أمين (مستقبليات - مصر والعرب والعالم في منتصف القرن ٢١)، ص ٧٩/ ٨٠ كتاب - الهلال - أبريل سنة ٢٠٠٤م.

هل عرفوا حكمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بقوله: «إنا كنا أذل قوم -إن هذه الحكمة نضعها نصب أعين المستغربين في بلادنا أيضًا لعلهم يرشدون- فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزّة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»[1]، وهذا هو موضوع المقال الأول.

والمقال الثاني عن تجربتيْ كل من دكتورة عائشة عبد الرحمن والدكتور عبد الرحمن بدوي ونجم عنهما ترجيح أصولنا الإسلامية وضرورة التخلص من أدران التغريب.

والمقال الثالث عن الدكتور التفتازاني ونقده للمذاهب الفلسفية الغربية -كإحدى ركائز الغزو الثقافي- مع اقتراحه تنقية المناهج الدراسية والجامعية من الفلسفات المرفوضة إسلاميًا.

والمقال الرابع عن تصحيح التزوير التاريخي في قضيتَي الفلسفة المصرية القديمة، وقضية الغزو الصليبي الفرنسي الذي يمثل تجديدًا للحروب الصليبية في العصر الحديث بقيادة نابليون بونابرت الذي دخل جيشه بخيله الأزهر ووأده لحركة يقظة إسلامية كانت في مهدها.

وبعدُ، فالخير أردتُ، اللهم إني بلغت اللهم فاشهد ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

وصلّ الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

**مصطفى بن محمد حلمي**

**الإسكندرية**

**في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٤٤٣هـ، ٢٥ يوليو سنة ٢٠٢٢م**

(١) رواه الحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة) وصححه الألباني.

## المقال الأول:

# نقد الحضارة الغربية

على لسان كل من:

الأول: الفيلسوف الفرنسي رينيه جينو.

الثاني: الفيلسوف الفرنسي جارودي.

**• أولا: نقد الفيلسوف الفرنسي رينيه جينو لفلسفة العصر السائدة (البرجماتية):**

وهذا يقتضي منا عرضًا مختصرًا للانفصام الذي حدث في تاريخ حضارة الغرب بين العنصر الثابت الجامع بين النظر والتأمل، وكان هو الأرجح في العصرين اليوناني والروماني، وبين العمل، ولكن الواقع في العصر الحديث أصبح على خلاف ذلك، بينما ظل الاستعداد للتأمل أكثر شيوعًا عند الشرقيين، وعصمهم مما سمّاه (الهزال الفكري) لدى الغربيين.

ولعل هذا يفسر لنا انفصام نظام حقيقي في عالم اليوم.

وفي فصل بعنوان (معرفة وعمل):

يستعرض رينيه جينو العلاقة بين التأمّل والفعل، ويناقش وجهات النظر المختلفة حولهما، ويعارض القائلين بوجود تعارض بين التأمّل والفعل وكأنهما نقيضان، ثم يرجّح القول بأن كلًا منهما يكمّل الآخر، وأنهما يشكّلان النشاطين الداخلي والخارجي الكائن سواء أكان الإنسان الفرد أو الإنسانية في مجموعها.

أما مسألة رجحان أحدهما على الآخر فإن ذلك يرتبط إلى حد كبير بطبيعة هذا الإنسان أو الشعب؛ لأنه لا بد من النظر بعين الاعتبار في هذا الشأن إلى الاستعدادات المتوفرة عند كل إنسان، وغنيٌّ عن البيان أن الاستعداد للتأمل أكثر شيوعًا وقوة عند الشرقيين ?ويظهر جليًا في مثل الهند[1].

وفي وصف المراحل التي مر بها الغرب؛ يرى أن الاستعداد الطبيعي الذي كان عند الغربيين للعمل في العصر اليوناني والروماني وفي العصور الوسطى خاصة، لم يكن بحائل بينهم وبين الاعتراف بسموّ التأمل ورجحان كفته -أي ما نسميّه سمو الذكاء المجرّد.

(١) رينيه جينو (أزمة العالم المعاصر) ص ٨٢،٨١، ترجمة سامي عبد الحميد، ط دار النهار بالقاهرة سنة ١٩٩٦م.

وفي الإجابة عن السؤال: لماذا كان الأمر على خلاف ذلك في العصر الحديث؟

يجيب عن ذلك بأن الغربيين أسرفوا في تطوير ملكاتهم العملية، فانتهوا إلى فقدان ملكتهم العقلية المجردة، وابتكروا نظريات ترفع العمل إلى مكانة لا تسمو إليها مكان، بل ذهبوا -مثل البرجماتية، إلى إنكار شيء صحيح أو مقبول خارج نطاق العمل، وهذا الأسلوب في النظر إلى الأمور أدى إلى ما نشهده اليوم من هزال فكري[1].

أما العقائد الشرقية، فإنها رغم تأكيدها الصريح تفوق وتسمو التأمل على العمل، فإنها تضع هذا العمل في مكانه المشروع، وتعترف طواعية بأهميته في نطاق الظروف البشرية. وقد أجمعت العقائد الشرقية والعقائد الغربية القديمة على تأكيد أن التأمُّل أسمى درجة من العمل مثلما أن الثابت أرقى في رتبته من المتغيّر، وإذا لم يرتبط العمل بمبدأ أسمى من دائرة وجوده العارض، فإنه في هذه الحال مجرد وهم، وهذا المبدأ لكونه مبدأ لهذا العمل لا يمكن أن ينقاد وراءه وبالتالي فإنه لا بد أن يكون ثابتًا.

ومن هنا فقد أكّد أرسطو في العصر اليوناني القديم ضرورة وجود «المحرك الثابت»[2] لكل الأشياء. والمعرفة تنهض بدور هذا «المحرك الثابت»، ومن الجليّ أن العمل ينحصر في عالم التغير والصيرورة، والمعرفة وحدها هي التي تتيح الخروج من هذا العالم ومن إسار نطاقه المحدود، وعندما تصل إلى الثابت -وهذا هو حال المعرفة الكلية المرتبطة بالمبدأ، أو الميتافيزيقية- وهي المعرفة بحق، فإنها تكتسب صفة الثبات؛ لأن كل معرفة تتطابق تمامًا مع موضوعها.

ولكن الغربيين انخرطوا في العمل إلى درجة ينكرون معها كل ما يسمو عليه، فإنهم لا يدركون أن هذا العمل ذاته، يتحول -في غيبة المبدأ- إلى حركة عقيمة منذ على غير هدى- وهذه في الواقع أظهر سمات العصر الحديث: حاجة للتحر المستمرة والتغيير المتصل بسرعة مطردة مثل سرعة الحوادث التي تقع الآن، إنه الـ...

---

(1) نفسه ص ٨٣.

(1) نفسه ص ٨٥.

في الجزئيات لا يربط بينها الوعي بأي مبدأ أعلى[1]، ومن أقواله: «إن (البرجماتية) تمثل النتيجة الطبيعية التي انتهت إليها الفلسفة الحديثة كلها، وأنها آخر درجات انحطاطها»، وتصنيفها أيضًا بأنها ركام من التصورات الغامضة، ومن ثمّ فلا يوجد نظام حقيقي في العالم المعاصر[2].

وفي هذا المعنى يقول إن الغربيين أسرفوا في تطوير ملكاتهم العملية وانتهوا إلى فقدان ملكتهم العقلية المجردّة، ابتكروا نظريات ترفع العمل إلى مكانة لا تسمو إليها مكانة، بل ذهبوا -مثل البرجماتية- إلى حد إنكار أي شيء صحيح أو مقبول خارج نطاق العمل، وهذا الأسلوب في النظر إلى الأمور، وقد تغلّب في أول الأمر، أدى إلى ما نشهده اليوم من هزال فكري، وأما العقائد الشرقية، فإنها رغم تأكيدها الصريح تفوّق وسموّ التأمل على العمل، فإنها تضع هذا العمل في مكانه المشروع، وتعترف طواعية بأهميته في نطاق الظروف البشرية[3].

إن ما يوجهنا الآن في رأيه -أن العالم بحالته ينقسم إلى حضارات تمسكت بروح العقيدة والتراث - وهي الحضارات الشرقية، وحضارة معادية لروح العقيدة والتراث النقلي من جانب آخر، وهي الحضارة الغربية الحديثة، فالشرق الأقصى تمثله الحضارة الصينية أساسًا، والشرق الوسط تمثله الحضارة الهندوسية، والشرق الأدنى تمثله الحضارة الإسلامية[4].

ويشير هنا إلى الإسلام؛ إذ يقول: «ولا بد من الإعجاب بحيوية تراث ديني ما زال يقاوم رغم انطوائه في حالة كمون كل الجهود التي تبذل منذ قرون للقضاء عليه قضاءً مبرمًا»[5].

---

(١) نفسه ص ٨٥/ ٨٦ .
(٢) نفسه ص ١٢٠/ ١٢١ .
(٣) نفسه ص ٨٣/ ٨٤ .
(٤) نفسه ص ٦٧/ ٦٨ .
(٥) نفسه ص ١٥٤ .

ويقول رينيه جينو أيضًا: «إن الغربيين رغم تقديرهم الشديد لذاتهم ولحضارتهم إلا أنهم يشعرون تمامًا بأن سيطرتهم على بقية العالم أبعد ما تكون عن السيطرة النهائية - بل إنهم تحت سيطرة الأحداث التي لا يمكنهم التنبؤ بها وبالتالي لا يمكنهم منع حدوثها»، ويعلل تضخم الشعور بالذات القائم على الزيف والمغالطة بأنه ناجم عن الإحساس بالنقص الحضاري المتزن، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية الضحلة الجذور، ويصف الغرب بأنه نسي أنه لم يكن له أي وجود تاريخي في الفترة التي كانت فيها الحضارات الشرقية قد وصلت إلى قمة ازدهارها، كذلك يبدو الغرب بادعاءاته في نظر الشرقيين كطفل فخور بحصوله سريعًا على بضع معلومات بدائية. متصورًا أنه امتلك المعرفة بأسرها ويريد تعليمها لأناس متقدمين في السن تملؤهم الحكمة والتجارب[1].

● **ثانيًا: رجاء جارودي:**

إن جارودي شاهد على العصر بلا منازع، وقد وصفه بالانحطاط لا التقدم، ونحن نتخذ من الفيلسوف الكبير جارودي شاهدًا على العصر؛ حيث استطاع أن يفلت مما سمّاه بالسيطرة الإعلامية على الجماهير لتخدير الضمائر، وهو في تأمله ودراسته للإحصائيات عن المجتمع الأمريكي يستخلص الانحدار الأكثر دموية لهذا المجتمع، (فهناك مائتان وخمسون مليونًا من قطع الأسلحة المختلفة لمائتين وخمسين مليونًا من البشر، وأطفال قتلة في سن التاسعة، ومليونان من المسجونين، ومليارات الدولارات من الديون «أكثر من مجموع إنتاج العالم الثالث» وثلاثة وثلاثون مليونًا من الفقراء، وحيث واحد في المائة من السكان يمتلك سبعين في المائة من الثروة الوطنية؛ والعتاد الحربي يدمر السكان والبيئة التحتية، ) ولا ينسى الانحدار الأخلاقي المتم... في معونة أمريكا لإسرائيل التي يصفها بشيكاغو الصغيرة، فها هي تغزو فلسط... بدبابات زنة أربعين طنًا، ويعلق أخيرًا على ذلك بقوله: **«وما ذلك إلا دليل ... على الانحطاط الأخلاقي لعالم اختفى منه تمامًا مفهوم «الشرف».!!**

---

(١) د. زينب عبد العزيز (تنصير العالم) ص ١١٦، ط دار الوفاء بالمنصورة سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

ولا يُصدر جارودي هذا الحكم من فراغ، بل بدراسته الواسعة للتاريخ الغربي كله؛ حيث يرى أنه مع الحقبة التاريخية التي بدأت عام ١٤٩٢م بغزو أمريكا، أدرك البعض معنى البربرية الجديدة عند الغرب(١).

**الشعب المختار:**

ويؤرخ لفكرة «الشعب المختار»، وهي أكثر الأفكار دموية في التاريخ التي دفعت بطائفة «الطهريين» البروتستانت الإنجليز الذين وصلوا أمريكا باستئصال الهنود، وجعلت أحد الباباوات يتساءل: ما إذا كان الهنود يتمتعون بروح كالبيض، ثم قسّم أراضيهم بين إسبانيا والبرتغال (فهذه الفكرة إذن أساس الكثير من أنماط الاستعمار) وقد مارست أمريكا سياستها الاستعمارية وإخضاع العالم تحت شعار «الشعب المختار»(٢)!!

إن لجارودي نظرته المتفردة للحضارة المعاصرة بجناحيها السوفييتي والأمريكي، وقد تسلح بمخزون ثقافته العميقة والجامعة بين التاريخ والفلسفة والآداب والفنون والاقتصاد والسياسة والأديان، مع ملاحظته للتطورات المعاصرة في جميع هذه النواحي.

فضلاً عن معايشته بإخلاص لآلام الشعوب المقهورة من دول العالم الثالث حيث استخدم الغرب معها أدوات القهر المتمثلة في صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والمعونات المشروطة، والغزو الإعلامي، وحرمانها من امتلاك التقنية الحديثة، فإنه من غير المسموح به لأي شعب أن يرتقي إلى مستوى تقني عالٍ، أو يستثمر بنفسه ثرواته الوطنية «كالبترول».

وبهذا الموقف الإنساني مع استخدام أدوات البحث العلمي، مع ذاكرة قوية وإدراك للحقائق وراء الظواهر الخادعة، **توصل جارودي إلى نتيجة مؤداها أننا نعيش مقدمة**

(١) روجيه جارودي «الإرهاب الغربي» ج ١ ص (٤١)، تعريب د. داليا الطوخي، د. ناهد عبد الحميد.
(٢) نفسه ص ٦٧.

عصر الانحطاط -لا التقدم- وخصّ أمريكا بهذا الوصف باعتبارها القوة الأولى في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

كذلك صرّح بكتابه (الولايات المتحدة طليعة الانحطاط) بأن غرضه هو دعوة لمقاومة اللامعنى، ولبناء عالم من الأمم المتحدة مبنيًا على مبادئ أخرى غير المبادئ التي قادت الغرب إلى الانحطاط وقادت العالم إلى المعاناة، إن الوهم (المثوي بحلم أمريكي، قد تحول إلى كابوس أمريكي بسبب رغبة الأمريكيين في الهيمنة على العالم)(١).

والحق أن جارودي لا ينفرد بهذه الرؤية، فقد سبقه الكاتب الانجليزي الشهير ألدوس هكسل بكتابه الصادر في عام ١٩٣٢م مدفوعًا بشعور قوي جدًا بالخوف والتشاؤم من المستقبل الذي يهدد العالم، إذا لم نفعل شيئًا لتجنب هذا المستقبل المظلم الذي كان يخيفه(٢).

ويتلخص رأيه في أن (التقدم العلمي والتكنولوجي يسمح بطبيعته بتركز السلطة والقوة في أيدي قلة تقوم بفرض إرادتها على الآخرين، والأدوات التي تستخدم في فرض هذه الإرادة لا تقتصر على أدوات القهر المادي المعروفة في مختلف عصور التاريخ، من أسلحة وسجون وأدوات التعذيب الجماعي بمختلف صورها، بل أصبحت تشمل في العصر الحديث صورًا جديدة للقهر المعنوي، عن طريق ما أصبحت تسمح به وسائل الإعلام والاتصال الحديثة من تأثير في عقول الناس وميولهم وغسيل أدمغتهم وبث ما يريد المسكون بالسلطة نشره من أفكار ومعتقدات ومعلومات)(٣).

---

(١) روجيه جارودي (الولايات المتحدة طليعة الانحطاط) ص ٢٣٩، ترجمة مروان حموي، ط دار الكاتب - دمشق ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

(٢) د جلال أمين «خرافة التقدم والتأخر -العرب والحضارة الغربية في القرن الواحد والعشر ص (١٤١-١٤٣).

(٣) نفسه ص (١٤٤).

ويرى الدكتور جلال أمين أن الحضارة الغربية أصابها الضعف وهي تمر بمرحلة لها كل سمات الشيخوخة، بل بدأ أصحاب هذه الحضارة في فقد الثقة في حضارتهم. ص (١٦٨-١٦٩).

ويذكر بكتابه «عصر التشهير بالعرب والمسلمين»: (إن نهضتنا يجب أن تعتمد على قيمنا الخاصة) ص (١٠٩).

هذا ويؤيده الدكتور رشدي فكار بقوله: «إن رواد الفكر وعلماء الفلسفة في القرن العشرين يلتقون في أن هناك فارقًا حضاريًا جاء نتيجة لأن إنسان هذا العصر، إنسان الحيرة، إنسان القلق/ إنسان الاكتئاب، إنسان لا يشبع في استهلاكه ويبحث دائمًا عن الرفاهية وعن الرخاء»[1].

ونادرًا ما يتفق العلماء والفلاسفة والسياسيون على إحدى الظواهر، كاتفاقهم على ظاهرة (أزمة الحضارة المعاصرة) ونظرة التشاؤم للمستقبل المحفوف بالمخاطر، منذ الحرب العالمية الأولى؛ مما دفع أستاذة التاريخ بجامعة كاليفورنيا أدريين كوخ إلى جمع آراء لفيف من الكتاب الفلسفيين والفلاسفة الدينيين، والفلاسفة الإنسانيين ونشرتها في كتاب بعنوان (آراء فلسفية في أزمة العصر)، وسجلت انزعاجها في مقدمة كتابها (لهذا القرن الفظيع! من ذا الذي يتدبر مسيره وتاريخه ولا يحكم عليه بالفظاعة؟! ومن ذا الذي ينكر أن الثقة التي كانت تملأ نفوسنا عند مطلعه قد زالت من النفوس؟!)[2]، وتصف أزمة العصر الحاضر بأنها فريدة في تاريخ الإنسانية، فهي أوسع انتشارًا من أية أزمة أخرى عرفها تاريخ الإنسان؛ لأنها تنذر الوجود البشري ذاته.

يرى شبنجلر أن حضارة الغرب خلّفت وراءها مرحلة الخلق الحضاري ودخلت مرحلة التأمل والاستمتاع المادي، فلم يبق للغرب إلا مرحلة الانحدار أو الأفول، وقال: (إن إعادة الشباب إلى حضارة الغرب وتجديدها مستحيل استحالة إعادة الشباب إلى حيوان أو إنسان أدركته الشيخوخة)[3].

ويقول الصحفي السويسري روجيه دوبا سكويه: (يبدو أنه لا شيء على الأرض يمكنه الهروب من الأزمات التي تزلزل العالم الحديث. لا يكفي الحديث عن أزمة

---

(١) د. رشدي فكار المفكر الإسلامي العالمي في حوار متواصل حول مشكلات العصر ص ٥٥، بقلم خميس البكري، مكتبة وهبة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

(٢) (آراء فلسفية في أزمة العصر) أدريين كوخ، ترجمة محمود محمود، مكتبة الأنجلو المصرية سبتمبر سنة ١٩٦٣م.

(٣) د. حسين مؤنس (التاريخ والمؤرخون) ص ١٧٦، دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٤م.

حضارة بعد أن اكتسبت الظاهرة أبعادًا عالمية، يبعث الظلام الوشيك شعورًا متزايدًا بعدم الاطمئنان)[1].

وعندما أسلم اكتشف أن الإسلام يقدّم سواء في الغرب الغني في الماديات والفقير في الأخلاقيات، أو في بلاد العالم الثالث الفقيرة في الماديات، أشفى وأكثر الحلول جذريّة ووضوحًا للتحدي المعاصر. يقدم للأفراد والجماعات التي تقبله وتعمل به أثمن علاج وأكثره فعالية لمرض العصر، كما اتضّح له أيضًا أن الإسلام يحفظ للحياة معنى حتى في أقصى حالات الإملاق -ويحمي ما يجعل الحياة تستحق العيش- ودليله على ذلك الكفاح العظيم للمسلمين المستضعفين في البوسنة وفلسطين وكشمير وغيرهم، برغم الظلم العالمي وتضليله الإعلامي![2].

ثم يأتي الدكتور عبد الوهاب المسيري، فيعكف على الدراسة الشاملة لحضارة الغرب: تاريخها ومذاهبها الفلسفية، ولغتها وآدابها وفنونها وعاداتها، محذرًا من هيمنة النموذج الغربي الحديث علينا، ويدق ناقوس الخطر؛ لأن الغزو الثقافي استهدف إفقادنا هويتنا حتى يتم كسرنا فنستسلم بلا مقاومة.

إنه يرى أن المستعمر عندما جاء إلى بلادنا حاول أن يصلح – نظمنا التعليمية وأزياءنا ومعمارنا – إلى أن نجح في نهاية الأمر في تغيير واقعنا بحيث أصبح واقعًا متحيزًا له، متحيزًا ضدّنا!

وأخذ ينادي بالاحتفاظ بهويتنا وخطابنا الحضاري، مقررًا أن (النموذج الحضاري الإسلامي نواته الأساسية هي النموذج المعرفي الإسلامي وأساسه القرآن والسنة اللذان يحويان القيم الإسلامية المطلقة والإجابة الإسلامية عن الأسئلة النهائية)[3].

مع العلم بأن الشاعر محمد إقبال عكف أيضًا على دراسة المذاهب الفلسفية الغربية ونقدها، منتهيًا إلى الحكم عليها بأن معظمها يعكس الواقع المادي الذي يحياه الغرب،

(١) روجيه دوبا سكويه (إظهار الإسلام) ص ٩، دار الشروق سنة ١٩٩٤م.

(٢) نفسه ص ٢٣، ٢٧.

(٣) د. عبد الوهاب المسيري (العالم من منظور غربي) ص ١٥٥ دار الشروق ٢٠١٧م.

ويصور النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تتواءم مع ذلك الواقع، وأن بعضًا منها يعبر عن جموح العقل البشري وشططه وجحوده للقيم الروحية والدين، وجحود الله تعالى تارة باسم العلم، وثانية باسم الحرية وثالثًا باسم العقل، وأن القليل منها يجنح إلى الغلوّ في التسامي والإفراط في طلب المثل العليا، ويفضّل البحث في عالم الروح على دراسة العالم الإنساني.

ويخلص من هذا التحليل بأنها فلسفة مريضة، وواقع الإنسان الغربي يشهد على أنها عجزت عن تحقيق السعادة لمعتنقيها، ومن ثمّ لا حاجة للمسلمين في انتمائها، والترويج لها في العالم الإسلامي، بل يجب دراستها للكشف عن نقائصها وعيوبها وإثبات خطأ وصفها بالإنسانية، والتأكيد على أن القرآن وحده هو الجدير بأن يطلق عليه هذه الصفة مجازًا[1].

ويتضح أن كلًا من المسيري وإقبال محقّان في موقفهما، فقد اتضح لنا بعد العرض الموجز لبعض نماذج الفلسفة الغربية الحديثة، اتضح إخفاقها الذريع في تقديم الإجابات الشافية، عن حقيقة الإنسان والغرض من خلقه ومصيره وبيان ما يُسعده وما يشقيه.

هذا، وقد سبق للدكتور ألكسس كارليل دراسته (إنسان حضارة الغرب)، خلص منها إلى أن أصحاب المذاهب أنشأها أصحابها في عقولهم فهي عديمة القيمة (فمبادئ الثورة الفرنسية وخيالات ماركس ولينين تنطبق على الرجال الجامدين، فيجب أن نفهم بوضوح أن قوانين العلاقات البشرية ما زالت غير معروفة. فإن علوم الاجتماع والاقتصاديات علوم تخمينية افتراضية، وصفوة القول إن علوم الجماد حققت تقدمًا عظيمًا بعيد المدى، بينما بقيت علوم البشر في حالة بدائية)[2].

---

(١) د. عصمت حسين سيد نصار (موقف إقبال من الحضارة الغربية) ص ٤١ ط سنة ٢٠٠١م بدون اسم الناشر.

(٢) ألكسيس كاريل (الإنسان ذلك المجهول) ص ٤١ ترجمة: عادل عبد السميع أحمد - دار العلم للجميع - مكتبة المعارف.

وهو طبيب فرنسي ولد عام ١٨٧٣م ومنح جائزة نوبل عام ١٩١٢ لأبحاثه الطبية الفذة- وقد استقبل كتابه بحماسة عظيمة عندما نشر لأول مرة. وقد مات سنة ١٩٤٤م

لذلك فإنه من الأفضل أن نوجه اهتمامنا أكثر إلى أنفسنا من أن نبني بواخر أكثر سرعة، وسيارة تتوفر فيها أسباب الراحة، وأجهزة راديو أقل ثمنًا أو تلسكوبات لفحص هيكل سديم على بُعد سحيق، ما هو مدى التقدم الحقيقي الذي نحققه حينما تنقلنا إحدى الطائرات إلى أوروبا أو إلى الصين في ساعات قلائل؟! ليس هناك أي ظل من الشك في أن علوم الميكانيكا والطبيعة والكيمياء عاجزة عن إعطائنا الذكاء والنظام الأخلاقي والصحة والتوازن العصبي والأمن والسلام[١].

أضف إلى ذلك أن هناك علاقات بين الروح والجسد، ولا يمكن أن يفحصا كل منهما على حدة، فالروح هي جانب نفسنا المحددة لطبيعتنا، والذي يميز الإنسان عن جميع الحيوانات الأخرى، ونحن غير قادرين على تعريف هذه الذات المألوفة والشديدة الغموض، ويتساءل أيضًا: ما هو الفكر، ذلك الكائن العجيب الذي يعيش في أعماق ذاتنا؟!

لقد أوقف الفلاسفة العظماء حياتهم في جميع الأزمان والبلدان على بحث هذه المعضلات، ولكن لم يصلوا إلى حلها[٢].

لقد تغلبت المادة ومبادئ دين الصناعة، فحطمت الثقافة والجمال والأخلاق كما عرفتها الحضارة المسيحية[٣].

كذلك فإننا نواجه مشكلات شديدة الخطورة تحتاج إلى حل سريع. إذ بالرغم من أننا بسبيل القضاء على إسهال الأطفال والسل والدفتريا والحمى التيفودية، إلخ، فقد حلّت محلها أمراض الفساد والانحلال. فهناك عدد كبير من أمراض الجهاز العصبي والقوى العقلية، ففي بعض ولايات أمريكا يزيد عدد المجانين الذين يوجدون في المصحات على عدد المرضى الموجودين في جميع المستشفيات الأخرى. وكالجنون، فإن الاضطرابات العصبية، وضعف القوى العقلية آخذة في الزيادة، وهي أكثر

(١) نفسه ص ٥٦.
(١) نفسه ص ١٣١.
(١) نفسه ص ١٦٣.

العناصر نشاطًا في جلب التعاسة للأفراد وتحطيم الأسر، إن الفساد العقلي أكثر خطورة على الحضارة من الأمراض المعدية التي قصر علماء الصحة والأطباء اهتمامهم عليها حتى الآن![1].

**نقد التصور الخاطئ للإنسان:**

ويرى الدكتور ألكسيس أن علماء الفسيولوجيا بالقرن التاسع عشر وتلاميذهم ارتكبوا خطأ حينما حاولوا أن يختزلوا الإنسان اختزالاً تامًا إلى كيمياء مادية![2]، وهذا مخالف للواقع فإن النظريات العلمية هي مجرد تصوير للحقيقة وليست هي الحقيقة ذاتها[3]؛ إذ كان من أهم التطورات العلمية في القرن العشرين أن البحث في تركيب الذرة قد دلّنا على أن المادة مؤلفة من كهرباء، وقد ثبت ذلك بالدليل الحسي، وأخذت صورة فوتوغرافية للبروتونات والإلكترونات المتحركة، ودخل لغة العلم لفظ جديد هو «الطاقة».

يقول الدكتور مشرفة رحمه الله تعالى: (فقد تغلغلت فكرة «الطاقة» في مناحي العالم الطبيعي، حتى شملت كل متحرك أو باعث على الحركة من حرارة وضوء وكهرباء ومغنطيس وقوى جاذبية)[4].

وإذا كانت الثنائية قد ظهرت في المادة بعامة، فهي أظهر ما تكون في كيان الإنسان؛ حيث لا يمكن تفسير الإنسان إلا بوجود حقيقة أخرى غير مرئية وهي الروح، فالذي يقول بأن الإنسان مجموعة وظائف فسيولوجية مادية لا غير عليه أن يفسّر لنا أين يذهب ذلك الإنسان في لحظة النوم؛ حيث تقوم جميع وظائف الجسم بأداء دورها أثناء النوم، فنحن أمام رجل نائم أشبه بشجرة، فأين الإنسان في تلك الجثة النائمة التي إذا

(١) نفسه ص ٣٤ .

(٢) ص ٤٧ من كتاب (الإنسان ذلك المجهول).

(٣) بول ديفيد وجون جريبين (أسطورة المادة: صورة المادة في الفيزياء الحديثة) ص ٢٣، ترجمة مهندس علي يوسف علي -الهيئة العامة المصرية للكتاب سنة ١٩٩٨م.

(٤) د. علي مشرفة بك (العلم والحياة) ص ٩٦ سلسلة (اقرأ) العدد ٣٨ -يناير ١٩٤٦- دار المعارف بمصر.

تحركت نشطت وأدت أدوارها في الحياة؟![1]. وكذلك عن الصلة بين الطاقة والمادة في الكون،

يقول مؤلفا كتاب (أسطورة المادة: صورة المادة في الفيزياء الحديثة): (تتوزع الطاقة والمادة بانتظام مثير للدهشة خلال الكون، وقد اكتشف أدوين هابل أن الكون يتمدّد، وهو الاكتشاف الذي تماشى مع توقعات النسبية العامة، توقّع أجهد أينشتين ذاته، والذي كان يعتقد أن الكون في حالة سكون، في التحايل عليه في نظريته، وقد أدّى المزيج من اكتشاف هابل مع النسبية العامة إلى نتيجة عظيمة، مفادها أن الكون غير سرمدي النشأة، بل لا بد أن يكون قد خُلق خلقًا فجائيًا منذ عدة بلايين من السنين، في انفجار مهول نسمّيه اليوم: الانفجار العظيم)[2].

ومع تتبع دراسة بعض النظريات العلمية الحديثة يتضح أن الحقيقة التي تظهرها لنا الفيزياء الحديثة غريبة على العقل البشري، وتتحدّى أية مقدرة على التصوّر![3].

وعن صلة العلم بمعرفة الحقيقة الكاملة، ليس بمقدورنا أن ندعي ذلك، وكل ما هنالك أن النظريات العلمية تحتوي على بعض عناصر الواقع، وقد تسبّب هذا القصور من جانب العلم في التساؤل: هل سيتخلّى العلم أمام قصوره عن معرفة الحقيقة كاملة لحساب نظم من التفكير مبنية على الغيبيّات؟[4].

ويميل المؤلّفان في هذه الحالة إلى تغليب دور الدين، طالما كان متعلّقًا بالمسائل الخارجة عن نطاق العلم الوضعي[5] أو بعبارة أخرى: ينصح المؤلفان بألا يتعجل المرء رفض فكرة لمجرد عدم تقبل عقله لها[6].

(١) نفسه ص ٩٨/ ٩٩ .
(٢) كتاب (أسطورة المادة -صورة المادة في الفيزياء الحديثة ) ص ٩٩/ ١٠٠ .
(٣) نفسه ص ٩٦ .
(٤) نفسه ص ٢٨/ ٢٦ .
(٥) نفسه ص ٣١ .
(٦) نفسه ص ٨/ ٩ .

هذا وقد علّق مترجم الكتاب المهندس علي يوسف علي على ذلك بقوله: (وهي نصيحة لا أحسب من تعوّد التواضع أمام علم الله تعالى وقدرته بحاجة إليها مستنداً إلى قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]).

ويمضي قائلاً: (إن تصديقي لما جاء في كتاب الله من تغير الزمن بين نظام ونظام: بين (كُن فَيَكُونُ) و(خالدين فيها أبدًا) و(إن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون) و(في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)؛ ولإسراء الرسول ﷺ ومعراجه في ليلة واحدة، لن يجعل عصيًا عليّ أن أتقبل ما جاءت به (النسبية) من أن يومًا في إطار مرجعي معين قد يساوي عدة قرون في إطار مرجعي آخر!

وينطبق نفس القول على ما جاءت به النظرية الكمية من أفكار تشبه في خطها بعضًا من غيبيات الكتاب الكريم، من ذلك مثلاً (تعدد الأكوان، أو وجود كائنات شبحية لا تدركها حواسنا أو ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]. في مقابل ما جاء به من إمكانيات التنقل عبر الفضاء الكوني في لمح البصر (قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠])[1].

واستطراداً للحديث عن الإنسان يبدي الدكتور ألكسيس كارليل حيرته في كثير من مواضع كتابه، فيقول مثلاً: (يجب ألا تغيب عنا أن معرفتنا بالإنسان ما زالت بدائية، وأن معظم المعضلات التي ذُكرت في مستهل الكتاب ما زالت دون حل)[2]!

ويقول في النهاية (يجب علينا الآن أن نعيد إنشاء الإنسان، في تمام شخصيته، الذي أضعفته الحياة العصرية ومقاييسها الموضوعة)[3].

---

(١) نفسه ص ٨/ ٩، مع العلم بأن نظرية الكمية لماكس بلاك، ونظرية النسبية لأينشتين هما أساسان راسخان للعلم في القرن العشرين...

ويرى المترجم أن نظرية النسبية قامت على إحساس أينشتين بوحدانية الله تعالى وجمال خلقه.. ووصفها بأنها (صورة فريدة من صور التسبيح بوحدانية الله تعالى)، ص ١٠.

(٢) (الإنسان ذلك المجهول) ص ٢٩٢.

(٣) نفسه ص ٣٢١.

ويتضح لنا من كل ما تقدّم أن معضلات حضارة الغرب وأزماتها كانت موضع اهتمام بالغ من الفلاسفة والمؤرخين والمثقفين هناك. نذكر منهم أمثال: شبنجلر وتويني ورينيه جينو وجارودي الذين تحدثوا عما أسموه بانهيار الحضارة الغربية، وأنها في طريقها إلى الأفول، بل إن الأمير تشارلز وليّ عهد بريطانيا دعا الحضارة الغربية منذ سنوات قلائل إلى استمداد العون من الحضارة الإسلامية الروحية في محاضرته في «ويلتون بارك-بلندن»[1].

**• روجيه باسكويه والإسلام:**

سنعرض بإيجاز شديد للسرد التاريخي للإسلام عند روجيه باسكويه والقيم التي جذبته للإسلام على كثرتها، وسنختصر بعضها لإقناع الاتجاه العلماني بأنها على النقيض تمامًا من تصوراتهم المتأثرة بالثقافة الغربية، وقد ظلوا مستسلمين لها دون دون أن يجشموا أنفسهم عناء الدراسة الشاملة للتراث الإسلامي كما فعل دويا باسكويه ?نظرًا وتطبيقًا- بنفس عنايتهم بنقل المصطلحات الوافدة (كالحداثة) والدعوة إلى تطبيقها في عالم الإسلام ودون دراسة مقارنة متأنية للتعرف على التناقض البيّن بين الحضارتين: الغربية وحضارة الإسلام، أو الدراسة المنهجية وفق فلسفة التاريخ!!

يقول روجيه دويا باسكويه: (فبرغم أفكار كثير من المسلمين الذين يسمّون أنفسهم «تقدميين»، فالحداثة الغربية، وهي السبب في الأزمة العالمية الحاضرة، نشأت بروح منافية للإسلام بل والمسيحية. طبعًا قد حققت انتصارات باهرة فوق الحصر-في الدنيا- ولكنها حرمت المبادئ السامية، وبمجافاة السماء، عجلت انهيارات إنسانيتها وأصبحت تهدد بكارثة عالمية لا تستطيع الحضارة الإسلامية على الإطلاق المبادرة بمثل هذا التطور بدون خيانة نفسها، وهذا يبرر ولادة العالم الحديث في أوروبا وليس في بلاد الإسلام.

(١) عبد الله بن علي العليان (مقال بعنوان: مقاربات غير دقيقة في مسألة التباين مع الغرب) ص ٧٢، (المنار الجديد) ربيع-صيف ١٤٣٣هـ- يونيو ٢٠١٢م.

لا تعني هذه الملاحظات أن الإسلام يقف في وجه تقدم العلم والحضارة؛ فتاريخه منذ خروجه من الصحراء في القرن السابع يشهد على عكس ذلك، ولكنها تضع حدودًا لما يطلق عليه تقدّم، مع الأخذ في الاعتبار الحاجة لحفظ اتزان العالم المخلوق، وإتاحة الفرصة أمام المرء لإنجاز المهمة التي خلقه الله تعالى لها، ويناديه بها صوته الباطن. وبهذا سيكون هناك دائمًا التنافر الذي لا يمكن التغلب عليه بين الإسلام ومثل تلك الحداثة، ينطبق عليه قول القرآن: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧][1].

وعن وصفه للخلفاء الراشدين يذكر أنهم ارتفعوا إلى المستوى العالمي في الصفات الإنسانية، ونقلوا التنزيل الذي حافظوا عليه بعد الرسول ﷺ، فنقلوه إلى العالمية. ليسوا معصومين، ولكنهم أظهروا من الفضائل والعبقرية في الجهاد في سبيل الله واتباع رسوله ﷺ ما جعل المسلمين حتى اليوم يتمثلون بهم ويقتفون آثارهم[2].

وظلت دولة المسلمين التعبير الكامل لمثاليات الإسلام وتنفيذه في المجتمع البشري طيلة حكم الخلفاء الراشدين. حاز مجتمع المدنيين كل الصفات التي تؤهله لنشر الدعوة في العالم. كان الخلفاء أنفسهم رجالاً حركيين، قادة سياسيين، وفي نفس الوقت كانوا من المعنيين بأعمال القلوب وعبروا عن المثاليات الروحية في الإسلام[3].

وقد صوّر روجيه دوبا باسكويه «التجديد» في تاريخ الإسلام أدق تصوير؛ إذ رأى أن التطلع إلى العصور الأولى للإسلام ألهم حركات كثيرة في تاريخ الإسلام للعودة إلى النقاء الأصلي للإيمان بنبذ البدع، وظلت الأمة تتطلع بحنين جارف لتلك السنين التي مُورس فيها الإسلام بنموذجية كاملة في عصر النبي ﷺ[4].

---

(١) روجيه دوبا باسكويه (إظهار الإسلام) ص ١٥٤/ ١٥٥ ط الشروق سنة ١٩٩٤م.

(٢) نفسه ص ١٦٧.

(٣) نفسه ١٦٧.

(٤) نفسه ص ٢٦.

ويصف تقدم الإسلام بغير قوة عسكرية بل بطريقة سلمية في بلاد آسيوية كثيرة، منها إندونيسيا -وهي الآن أكبر بلد إسلامي- وآمن به على الفور أعداد هائلة من البشر في شبه القارة الهندوباكستانية قبل الفتوحات العسكرية. وتقدم الإسلام في إفريقيا سنة بعد سنة بنوره وجاذبيته(١).

كذلك تبيّن الحقائق بوضوح أن انتشار الإسلام الآن ليس نتيجة القوة، وإنما جاذبيته القوية التي تشعها المجتمعات الإسلامية المسلمة، وقام المسلمون الأتقياء بدور مهم في اجتذاب الأرواح. وعلى سبيل المثال اعتنق الإندونسيون الإسلام بعدما عرفوه من التجار المسلمين الذين جاءوهم من الهند وشبه الجزيرة العربية(٢).

أسلمت ماليزيا كلها، وانتشر الإسلام في جنوب الفلبين في نهاية القرن الرابع عشر. وعندما وصل الإسبان الفلبين في القرن السادس عشر، حاربوا المسلمين كما حاربوهم من قبل في إسبانيا وشمال إفريقية، وكان من ضمن الأهداف الرئيسة للحملات الاستعمارية الأوروبية على إفريقية والشرق إضعاف الإسلام ومحاربة نفوذه(٣).

وناقش الحدث المهم في التاريخ الإسلامي؛ حيث ألغت الجمعية الوطنية التركية الخلافة في عام ١٩٢٤م بعد هزيمة الحرب العالمية الأولى. وأثارت ثورة أتاتورك ردود فعل غاضبة(٤) واحتجاجات خاصة في الهند؛ حيث اعتبر المسلمون أوروبا مسئولة عن

---

(١) نفسه ص ٨٤.

(٢) نفسه ص ٨٨.

(٣) نفسه ٨٩/ ٩٠.

(٤) للتصويب: لم تكن (ثورة) بل قام أتاتورك وهو يهودي من طائفة (الدونمة) بهدم الخلافة العثمانية وتحويل تركيا إلى دولة علمانية غربية تطبق قوانينها، وألغى المدارس الدينية وجعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد بدلًا من يوم الجمعة وألغى الطربوش وحجاب المرأة.. وباختصار حرب شاملة للإسلام بالغة الشدة؛ مما أدّى إلى ثورة الشعب ضده دفاعًا عن دينه، ولقد سقط أكثر من نصف مليون شهيد في معارضة أتاتورك، وتم تشكيل محاكم متنقلة تقوم بإعدام المعارضين في محاكمات هزلية صورية!! ومع قسوة وتحجّر قلب هذا اليهودي الغادر نرى أنه ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿...كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[غافر: ٥٣] والله أعلم. جاسم الياسين، (الدولة الإسلامية بين الواجب والممكن) ص ١٣٠ ط شروق بالمنصورة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

تدمير المؤسسة الإسلامية التقليدية، أخفقت محاولات الشريف حسين في الحجاز في استعادة اللقب. ولم تتكرر المحاولة، وبهذا انتهت سلسلة الخلفاء الذي تولوا منذ أيام الإسلام الأولى.

انتهت الخلافة بطريقة أظهرت اكتمال الإذلال للمسلمين الذين خضعوا في مناطق كثيرة -منذ القرن التاسع عشر- للسيطرة الاستعمارية للقوى الأوروبية ذات الأصل المسيحي، والتي كانت مواقفها مادية محضة، تبعًا لحضارتها العلمانية الحديثة.

ونفثت القوى الاستعمارية شرورها تحت شعار الفكر التقدّمي الذي -بالرغم من بعض المظاهر السطحية- كان بصفة رئيسة مناقضًا للإسلام كعقيدة حقة وسبل فلاح.

وقد شخّص دويا سكويه مأساة العالم الإسلامي المعاصر أدق تصوير، عندما تنبه إلى أن الهجمات على الإسلام في القرون الوسطى كانت مباشرة وصريحة في المعارك المسلحة والمذابح الدموية، أما في العصر الحديث فالهجوم على الفكر والروح، ولكن آثاره أشد فتكًا من الهجوم العسكري؛ لأنه يهدف إلى اقتلاع العقائد وإفساد الأخلاق.

وهذا ما ينبغي أن يثير الانتباه للدارسين والعلماء والدعاة، ويرى أن التحرّر من الإمبراطوريات الاستعمارية وحكومات الحماية والوصاية -بعد كفاح طويل مؤلم- أدّى إلى ابتهاج في قلوب المسلمين.

ثم يصل إلى الحكم الصائب على التحوّلات التي نجمت عن التحرّر الشكلي، فيذكر أنها أكّدت سيادة الغرب الفكرية مع إنهاء سيادته الشكلية، كذلك يقرّر بأن التحرّر الحق لم يزل بعيدًا عن التحقيق[1]. أي أن الاستعمار، ما زال جاثمًا على أنفاسنا- وما زال الطريق طويلاً ويحتاج إلى اتباع سنة الله تعالى في النصر والأخذ بالأسباب المادية والمعنوية وفهم سنن التمكين مع الإخلاص للعقيدة[2].

---

(١) نفسه ص ٩١.

(٢) د. مجدي محمد عاشور (السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم - أصول وضوابط)، ص ٤٢٨ ط دار إسلام بالقاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

وحسب فهمه الصحيح للتجديد في تاريخ الإسلام بأنه النقاء الأصلي للإيمان بنبذ البدع والتطلع إلى اتباع أهل القرون الأولى، فإن من واجب المسلمين الآن تجديد حضارتهم وفق هذا التصوّر لا اتباع الحداثة أو الفكر التقدمي الغربي.

**السيدة مريم جميلة:**

ربما تعبّر آراء السيدة مريم جميلة -المهتدية للإسلام- باعتبارها أمريكية وخبيرة بالحضارة الغربية -أزمة الحضارة المعاصرة أصح تعبير عنها، فأشارت إلى الفلسفات المادية مثل النزعة الدنيوية -أي العلمانية- والنزعة القومية اللتان ما زالتا تتفشيان في العالم الآن، ولا تهددان الإسلام فقط بل البشرية جمعاء.

وقد قامت برد ودحض كل ما قاله كانتويل مدير المعهد الإسلامي بجامعة مونتريال بكندا، الذي زعم أن إصلاحات أتاتورك -اليهودي من طائفة «الدونما» تمثل أفضل نموذج لا بد للدول الإسلامية أن تحذو حذوه!! ونحن بدورنا نؤكّد دور الحقد اليهودي الذي حمله أتاتورك في قلبه وأخذ يقتلع الإسلام من جذوره في تركيا بعد هدمه للخلافة العثمانية التي عاشت ستة قرون وكانت حامية لبلاد المسلمين ضد الاستعمار الغربي، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

ولم تقتصر على هذا المستشرق، بل عنيتْ بالرد على من سمّتهم (بالتقدميين الإسلاميين) محذرّة من خطورتهم التي تفوق الأعداء الخارجيين؛ لأنهم يهاجمون الدعائم الأصلية من الداخل، ومن رأيها أن النزعة الدنيوية والنزعة القومية والنزعة المادية كلها مستقاة من فلاسفة أمثال «فولتير» و«روسو» و«منتسكيوه» وغيرهم. وتعتبرهم مسؤولين عن ظهور الماركسية والفاشية والنازية والنزعة العملية (البرجماتية كما يؤيدها جون ديوي)، والصهيونية (التي تسببت في مأساة فلسطين)[١].

---

(١) مريم جميلة (الرسائل المتبادلة بين أبو الأعلى المودوي ومريم جميلة عن الدعوة وهموم المسلمين) ص ٢٦/ ٢٨ باختصار، ترجمة طارق السيد خاطر، ط المختار الإسلامي ١٩٩٢م.

تقول السيدة مريم جميل -وهي أمريكية الجنسية تحوّلت من اليهودية إلى الإسلام-: (في الواقع كان الانهيار في حضارتنا واضحًا منذ الحرب العالمية الأولى، إلا أنه كانت هناك في ذلك الوقت قلة من الناس باستثناء بعض المفكرين والفنانين على دراية بما يحدث، ولكن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وخاصة في العقدين السابقين، وصل التسوس والعطن إلى الدرجة التي لا يمكن لأحد أن يتجاهلها الآن.

هنالك سبب لتلك الفوضى الأخلاقية في غياب كل المعايير الثابتة المحترمة للسلوك والأخلاق؛ ولذلك التسلط الجنسي المنحرف في وسائل الترفيه الجماهيرية، ولتلك المعاملة السيئة لكبار السن ولمعدل الطلاق الذي ارتفع للحد الذي أصبح فيه الزواج السعيد المستمر حالة نادرة، وللاعتداء على الأطفال، ولتدمير البيئة الطبيعية، ولضياع الموارد النادرة الثمينة، ولتفشي الأمراض الجنسية التي تستعصي على العلاج، ولتفشي الأمراض العقلية، ولإدمان المخدرات والخمر ولارتفاع معدل الوفاة بسبب الانتحار وجرائم القتل، ولتفشي الجريمة، ولأعمال النهب والتخريب، وتفشي الفساد في الحكومة واحتقار القانون، السبب هو فشل العلمانية، والمادية وغياب القيم الأخلاقية والدينية الروحية السامية [1].

هذا، وقد قدمت نماذج لمن وصفتهم بالتقدميين الإسلاميين ؟أمثال سيد خان الداعي إلى فلسفة القرن التاسع عشر الأوروبية- وعلي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) الذي كتبه مباشرة بعد زوال الخلافة العثمانية ليقنع العالم الإسلامي بأن الخلافة لم تكن أبدًا جزءًا متممًا للإسلام، وأنه لذلك يجب فصل الدين عن السياسة (الدولة) فصلاً تامًا وفي كل الأوقات، وهاجم الرئيس التونسي الأسبق بورقيبة صيام رمضان بدعوى أن صيام رمضان يعوق التنمية الاقتصادية في تونس، وقال الدكتور طه حسين أن مصر جزء مكمل لأوروبا، وبالتالي فالتطبيع الغربي والاتجاه العلماني الدنيوي ضرورة لا غنى عنها! [2]. ولكن بحمد الله تعالى تحول كلٌّ من الدكتور طه

(١) كتاب (الرسائل المتبادلة بين أبو الأعلى المودودي ومريم جميلة عن الدعوة وهموم المسلمين) ص ١٤٧/١٤٨ ترجمة طارق السيد خاطر، ط المختار الإسلامي ١٩٩٢م.

(٢) نفسه ص ٢٨.

حسين والشيخ علي عبد الرازق عن آرائهما، وسنعرض لهذه القضية بكتاب مستقل، تحت الطبع بمشيئة الله تعالى وتوفيقه.

كما انتقدت بشدة بعض أقوال الشباب المسلمين الذين يدرسون في جامعات نيويورك الذين يظنون أن الإسلام لا بد وأن يدخل في أطر الفلسفات الحديثة متباهين بأن هذا الفكر تحرري وتقدمي -بينما تقرر هي أن ما هم عليه هو فكر مغشوش ملوّث بتلك الفلسفات- ويعيد تمامًا عن الإسلام في صورته النقية الأصلية![1].

كذلك تتبّعت المصادر الفلسفية للمادية الغربية ونموها بداية من مهدها ونشأتها في بلاد اليونان مرورًا بعصر النهضة حتى أوجها وصورتها النهائية في أيدولوجيات مثل الشيوعية، وأوضحت أن الشرور التي يشهدها الغرب اليوم هي نتيجة طبيعية لتيار دام أكثر من خمسمائة سنة، فكل قادة الفكر الغرب الكبار كانوا من غلاة الماديين، فتركيبة الحضارة الغربية الحديثة كانت في الواقع تمردًا وثورة ضد الكنيسة، ثم في النهاية ضد كل الأديان والقيم الروحية. ومن ثم تعتبر المادية جزءًا جوهريًا من صميم الغرب[2].

وبحكم اطلاعها على الإسلام من مصادره -وبخاصة ترجمة (بيكول) للقرآن الكريم الذي قام بالتعريف به بصورة سهلة سلسة في متناول العامة في إنجلترا وأمريكا- وهداها هذا الاطلاع إلى رفضها غش الإسلام وتلويثه بالفلسفات الغربية، ومن ثمّ تقرر أن الإسلام في صورته النقية الأصلية هو عندها الأسلوب الأرقى للحياة والطريق الأوحد إلى الله تعالى[3].

وبالإضافة إلى ترجمة القرآن الكريم قرأت أربعة مجلدات ضخمة من الترجمة الإنجليزية (لمشكاة المصابيح) ترجمة الشيخ الهندي فضل الرحمن، ومن وقتها عرفت أن الفهم السليم والواسع للقرآن الكريم يستحيل بدون اللجوء للحديث النبوي لتفسير النص القرآني على نحو صحيح.

(١) نفسه ص ٣٦.
(٢) نفسه ص ٣٤/٣٤.
(٣) نفسه ص ١٥.

ويخبرنا القرآن بأن المرء لا يمكنه اتباع ما يأمرنا الله به دون قبول تام لسند حديث نبينا الكريم محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء: ٨٠].

وقالت: (مجرد أن درست مشكاة المصابيح حتى بدأت أقبل القرآن الكريم كوحي إلهي. وما أقنعني بأن القرآن لا بد أن يكون تنزيلاً من الله تعالى وليس من وضع محمد ﷺ هو أنني وجدت فيه **الإجابات الشافية المقنعة لكل الأمور المهمة في الحياة والتي لم أجد مثلها في أي موضع آخر**)(١).

وإزاء ما لاحظته من سمات العصر الحديث الذي لا يقر بوجود أساس للقيم الخالدة؛ إذ كل شيء في هذا العصر يتغير باستمرار، اشتاقت للوصول إلى شيء يدوم إلى الأبد، وعرفت من القرآن الكريم أن هذه الرغبة ممكنة التحقيق فقالت: (فالعمل الطيب ابتغاء مرضاة الله تعالى لا يضيع أبدًا ولا يفقد، وحتى إن لم يحصل الإنسان على أي اعتراف أو تقدير دنيوي فأجره مؤكّد في الآخرة، بل يخبرنا القرآن بأن أولئك الذين لا يتبعون أي هدى روحاني أو أخلاقي إلا النفعّية اللاأخلاقية واللاينة الاجتماعية، والذين يتوقون إلى الحرية والتحرر ليفعلوا ما يحلو لهم وما يلذ لهم، أولئك سيكونون من الخاسرين يوم الحساب مهما حققوا من نجاح ورخاء، مادي ودنيوي ومهما كانت قدرتهم على اقتناص اللذة والمتعة في حياتهم القصيرة الأرضية)(٢).

ومع اقتناعها بأن الإسلام ينظم حياة الإنسان بصورة شاملة، بما في ذلك الهدي الظاهر انتقدت ارتداء المسلمين للملابس الغربية واعتبارهم ذلك موضوعًا عاديًا غير ذي شأن وقالت: (لكنني أعتبره أمرًا غاية في الأهمية، ألم يقل لنا الرسول الكريم ﷺ بأن من أحب قومًا حُشر معهم؟ أعتقد أنه يجب على المسلمين الاعتزاز بإسلامهم معبرًا عنه بمظهرهم ولباسهم المميز. لذلك عندما أرى أي زعيم مسلم يرتدي الملابس الغربية

(١) نفسه ص ١٦.
(٢) نفسه ص ١٩.

ويظهر حليق الذقن، أعتبر إيمانه على الفور ناقصًا استرشادًا من مظهره، ذلك المظهر الذي يعلن للعالم أنه كمسلم لا يخجل من شخصيته). ثم أحالت القارئ إلى كتاب (الإسلام عند مفترق الطرق) للأستاذ محمد أسد الذي تناول هذه القضية بالتفصيل(١).

ونتتهي من هذا البحث الموجز إلى بيان الحكم الفاصل أيضًا بواسطة الفيلسوف الفرنسي المسلم رجاء جارودي الذي رأى أن الإسلام هو المنقذ للحضارة الأوروبية؛ لأن المادية تشرف على السقوط وتنتهي إلى الانتحار الجماعي، إنها امتلكت الوسيلة وافتقدت الهدف والغاية، وحصلت على شيء من العلم ولكن غابت عنها الحكمة(٢).

ولقد تبين له نعمة الإسلام التي تتجلّى في حفظ الطاقات، وتوفير الجهد، بوضع الإنسان في مكانه الصحيح من الكون، وإعادته إلى توازنه الفطري الأصيل، حتى يحيا تجربته البشرية كاملة، ويسهم إسهامًا فعالاً في إعمار الأرض، ولن يتأتى ذلك إلا بمشيئة الله تعالى الذي خلق الإنسان ومنحه القدرة على الاختيار، وكرّمه دون بقية المخلوقات الأخرى(٣).

وبالإضافة إلى ذلك فإن الإسلام -بما يمتلك من حقائق خالدة مجرّدة عن حدود الزمان والمكان- لا يزال قادرًا على مخاطبة أرقى العقول البشرية، وأن قدرته على الانتشار دائمة، سواء في ذلك المجتمعات المتقدمة أم المجتمعات المتخلفة(٤).

---

(١) نفسه ص ٣٧.

(٢) نادية المديوني (هكذا تكلم رجاء جارودي -شهادة حضارية على عصره والأساطير الإسرائيلية)، ص ١٩١ كتاب المجلة العربية - العدد ٢٤١ ١٤٣٧هـ - الرياض.

(٣) نفسه ص ١٩٠.

(٤) نفسه ص ١٩٢.

وترى المؤلفة أن أهمية شهادة جارودي ربما تكمن في أنه ابن هذه الحضارة الذي عاش أزمتها، وخبرها من الداخل، وتنقل بين صورها الفكرية المتعددة.. فانتهى إلى الإسلام ص ١٩٢ وتذكر أيضًا أننا -نحن المسلمين- من خلال موقفنا المتخلف حضاريًا، واضطراب مقاييسنا، بسبب ضعف التزامنا بهذا الدين - عاجزون عن التعرف بشكل دقيق على أزمة الحضارة الأوروبية. لأن بعضنا يعاني مأساة الانصياع الحضاري، مع عوامل القهر والاستعمار، والحقد الصليبي على الإسلام التي لا نزال نعيش آثارها، وقد تتحكم بموقفنا الروح الدفاعية، والوسائل العاطفية ص ١٩٢.

**حاشية: ومن صفات مقاييس العصر أنها اقتصادية:**

لا ينبغي الخضوع -في رأي الدكتور جلال أمين- لمقاييس العصر الذي تحكمه المقاييس الاقتصادية وحدها؛ إذ يأتي ترتيب العرب في الجداول الاقتصادية التي تعدها الأمم المتحدة متأخرة إلى حد بعيد، بل إن حالهم في الأوضاع الراهنة، كحال اليتيم في مأدبة اللئام! وحجته في ذلك أن عالمًا يسيطر عليه الاقتصاد ?على النحو الذي نراه في عالم اليوم- لا يمكن أن تصبح فيه الأولوية للقيم الأخلاقية والإنسانية، ولا تقاس فيه قيمة أي عمل إلاّ بحساب الربح والخسارة. فليس من الممكن في عالم لا يسيطر فيه إلاّ الاقتصاد أن ينظر امرؤ إلى منظر طبيعي جميل دون أن نفكر في إمكانية بناء فندق ذي خمسة نجوم، وأن تحظى اللغة القومية باحترام بسبب جمالها أو منطقها، بصرف النظر عن مدى كفاءتها لتصريف السلع وتسهيل الاستثمار الأجنبي، وأن يكون تصميم الفن المعماري منطلقًا من اعتبارات جمالية بحتة بصرف النظر عن كفاءته في استيعاب أكبر عدد من المكاتب أو السيّاح(١).

وإذا تحوّل العالم على هذا النحو المرجو، من الممكن أن يكون مصير العرب أفضل بكثير من حال اليتيم على مأدبة اللئام. إن التطلع إلى مثل هذا المستقبل تقع على عاتق المثقفين العرب اليوم، بشرط ألا يقوموا بعمل يتضمن خيانة ثقافتهم القومية أو دينهم أو قيمهم الأخلاقية والجمالية؛ إذ إن هذه الخيانة قد تؤدي إلى الخطر التالي: وهو عندما يتحقق هذا العالم الذي نحلم به، لن يكون قد بقي للعرب ثقافة أو دين أو قيم أخلاقية أو جمالية يمكن لهم بها أن يشاركوا سائر الأمم في بناء مستقبل أفضل.

وإذا تمكن العرب من الاحتفاظ بالولاء لمبادئ مجردة تتجاوز النفع الاقتصادي، وصيانة ثقافتهم من العبث أو الضياع، فإنهم سيتمكنون بذلك من وضع حد لاتجاه بدأ منذ نحو خمسمائة عام وتمثل في اكتساح القيم الاقتصادية لكل ما عاداها.

وعندئذ ينصحهم د/ جلال أمين بألا يلقوا بالاً لمن يصفهم بالرجعية أو الرومانسية وعدم الواقعية. إن رجعيتهم تتمثل فقط في رفضهم الاعتقاد بأن كل شيء قديم أسوأ

(١) د. جلال أمين (عولمة القهر) ص ١٨٣ ط دار الشروق ١٤٢٢هـ-٢٠٠٠م.

من أي شيء جديد لمجرد قدمه، وريادتهم تتمثل فقط في اعتقادهم بأن الإنسان لم يفقد روحه تمامًا بعد، وعدم واقعيتهم تتمثل فقط في رفضهم الاعتقاد بأنّ علينا قبول الأمر الواقع مهما كان كريهًا[1].

ونحن بدورنا نؤيّد ما ذهب إليه الدكتور جلال أمين، مع ضرورة التأكيد على التذكر الدائم لحكمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وأن نضعها دائمًا نصب أعيننا، فهو القائل: (إنّا كنّا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)[2].

(١) نفسه ص ١٨٤.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة) وصححه الألباني.

## المقال الثاني:

# الحضارة الإسلامية هي الأفضل

إن الموازنة بين النموذجين التاليين سيسمح لنا بإتمام الدراسة لنصل إلى الهدف منها من أقصر طريق؛ لأنهما جسّدا التجربة وعبّرا عنها بصدق وأمانة؛ للموازنة بين خصائص الإسلام وحضارة الغرب، فكفتانا مؤونة الاستدلالات العقلية والبراهين النظرية المجردة؛ لأن التجارب في ذاتها أقوى دليل:

- **النموذج الأول:**

تعبّر عنه الدكتورة عائشة عبد الرحمن بصلتها الوثيقة بالتراث، وهي من روّاد المدافعين عنه؛ حيث تصف حركة إحياء التراث والدعوة إلى الاتصال بقيمنا بأنها لم تكن صخرة رجعية يلقي بها الأميون في مجرى تيار اليقظة والتقدّم كما يظن المتغربون، بل كانت بشهادة الواقع التاريخي مددًا سخيًا لهذا التيار أراد به المصلحون المجددون تعميق مجراه، وتأمين حيويته وسلامته، بصدوره عن نبع أصيل في أرضنا الطيبة.

كذلك إمداد حياة الأمة في مختلف نواحيها بزاد سخيٍّ من ماضيها في عصور القوة.

وأراد هؤلاء الرواد تدعيم حركة اليقظة بأصول من تراثنا[1].

ومن الأدلة الدامغة التي تعتمد عليها هو أنه إن لم يكن تراثنا الإسلامي العظيم -وهو أصل حضارتنا- محتفظًا برونقه وإشعاعاته لما اهتم المستشرقون بعقد المؤتمرات للدراسة وتبادل المعلومات، وهم لا يزالون يبذلون من جهد وعناية بهذا التراث[2]!!

(١) د. عائشة عبد الرحمن -بنت الشاطئ- (تراثنا بين ماض وحاضر) ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٩١.

(٢) وفي دراسة أخرى لها تتساءل: ما الذي يغري الغرب الحديث بتراثنا وقد أدى مهمته في خدمة عصر الإحياء؟ ثم تجيب بأن حركات الاستشراق عنيت به بقدر ما يكشف عن عقليات شعوبه ومواضع القوة والضعف فيهم.. كذلك بأن الاستشراق قام في بداية أمره لغاية دينية، ثم توسع علماؤه فجعلوه سياسيًا ولغويًا معًا. دراسة بعنوان: تراثنا بين شرق وغرب -ص ٢٤ من كتاب (التراث العربي دراسات) ط جمعية الأدباء بالقاهرة سنة ١٩٧١م.

هذا، وقد عرضت باستفاضة لنشاط المستشرقين في ميونخ بألمانيا عام ١٩٥٧ الذي حضره ألف وأربعمائة عضو يمثلون تسعًا وأربعين دولة من شتى أنحاء الدنيا، لم يكن منهم إلا تسعة أعضاء يمثلون الوطن العربي الكبير بمختلف أقطاره[١].

هذه النسبة الضئيلة جعلتها تعلق بأسى على ما قررنا باختيارنا أن نشغله هناك، وبيان الموضع الذي حددناه لأنفسنا في مؤتمر دولي كبير يشغل بقضايا من صميم وجودنا، وينبش عن عميق جذورنا، ويكشف ملامح شخصيتنا عبر التاريخ الطويل[٢].

**ثم طرحت عدة أسئلة:**

- أين نحن وأين هم؟
- أين نحن من حقيقة ذاتنا وماضي خطانا على درب الزمن؟
- وأين هم، من صميم الشرق وأسرار مزاجه وعقلية وجوهر شخصيته؟

بل أين نحن مما يقولون عنا، ومما يذيعون من مطوي تاريخنا وينشرون من تراثنا ويحفرون عن آثارنا، ومما يرسمون لنا من صور: بعضها صحيح وإن أعوزته الأصالة والمشاركة الفكرية والوجدانية، **وأكثرها زائف عبث به الهوى والتعصب، أوضحه سوء الفهم وقصور الإدراك وخطأ التقدير؟[٣]!!**

وتمضي معلقة بقولها: (وأعجب العجب أن نجد ميراث الماضي فينا، متأثرين بمفهوم خاطئ للعصرية، يروجه فينا من يزعمون أنها انفصال باتٌ عن ماضينا وانبتار حاسم من أصولنا، وإقامة سد أصم بيننا وبين قديمنا)[٤].

ثم تؤكد أن تغلغل ذلك القديم في أعماقنا، رضينا أو كرهنا، وترك فينا طابعه المه لنا، به نفترق من شعوب أخرى تعاصرنا وليست لها شخصيتنا التي تكونت ع

(١) نفسه ص ١٦١ .
(٢) نفسه ص ١٦١/ ١٦٢ .
(٣) نفسه ص ١٦١/ ١٦٢ .
(٤) نفسه ص ١٦٢ .

تعاقب الدهور وتتابع الأجيال! فكيف نجحد ميراث الماضي فينا، فندع للأجانب الغرباء أن يشغلوا به ويكشفوا عنه، حتى إذا حاول محاول أن يشارك في شيء من هذا بنشر نص من تراثنا أو بحث في قديمنا، أخذته الصيحات من كل جانب تنفي انتماءه إلى عصرنا، وتنكر عليه أن يعوق دفع التطور بالاشتغال بماضٍ ولّى وراح![1].

**تعليل الغزو الفكري الجائح:**

تبدأ الدكتورة عائشة عبد الرحمن ذلك بنبذة تاريخية عن المنتصف الثاني من القرن العشرين؛ حيث بدأت المرحلة الحالية من تاريخنا المعاصر؛ إذ انفصلت حركة إحياء التراث عند مدّ الحركة القومية (وهي تعني القومية العربية[2]، فبدأ هذا الانفصال شذوذًا في منطق الحياة وسنة الوجود، فقام عدونا باستغلال غفلتنا عن الموقع الفكري، فعبأ له جنودًا لا نراهم، أو قد نراهم فلا نرتاب فيهم، وانكشف الميدان لغزو فكري جائح خطط له الاستعمار بمهارة ودهاء، وسهر على الإعداد في ليلنا الطويل[3].

وكان من أخطر أسلحته، ما أورثتنا المرحلة الماضية من تصدّع ثقافي، أثر التفاوت البيئات الفكرية والتعليمية التي نشأ فيها جيلنا، وتلقى منها زاده العقلي والوجداني، وتمضي قائلة: (فنحن جميعًا -كما قلت سابقًا- عند وصف المناخ الفكري لأدبائنا المعاصرين-أبناء جيل أعوزه التعاصر الثقافي في مرحلة التلقي والتكوين والتأثر: فينا

(١) نفسه ص ١٦٣ .

(٢) وكان من دعاتها ساطع الحصري، وهو يهودي من طائفة الدونمة، ثم ذاعت وسيطرت لأسباب سياسية وزعامة مصنوعة!!

(٣) وقد كشف الدكتور أحمد دمرداش أيضًا عن حركة نهب التراث الإسلامي؛ حيث استولى نابليون عند غزوه الاستعماري لمصر على مخطوطات عربية كثيرة لا حصر لها، استولى عليها من الجامع الأزهر. بل كان من البنود المذكورة في وثيقة انسحاب البعثة الفرنسية عند الجلاء!
أما في الاتحاد السوفييتي فكان غرض الاستشراق السيطرة على الجمهوريات الإسلامية وهي: أذربيجان وأزبكستان وطاجيكستان وقرغيزيا وقازاقستان وتركمانيا وغيرها! كما استطاعت فرنسا بعد دراسة المخطوطات المسروقة أن تستعمر تونس والجزائر ومراكش وتشاد وغيرها. دراسة بعنوان: (الرياضيات عند العرب) ص ١١٢/ ١١٣ كتاب جمعية الأدباء سنة ١٩٧١م.

من تلقى زاده الأول من نبع شرقي صميم، حصّنه ضد تيارات الفرنجة الوافدة. وفينا من لا زاد له إلا الفكر الأجنبي وقد أمضى مرحلة الحضانة العقلية والتكوين النفسي في بيئة عزلته عن وجود أمته. وفي دوامة الصدام بين هؤلاء الغرباء، لف تراثنا غبار أكثف مما ألقاه عليه طول الإهمال.

وتداعى السائرون غربًا، ممن ينتحلون لأنفسهم صفة العصرية، إلى التخلص تمامًا من عبء التراث بغرض التطور[1].

وتدفق جنود الاستعمار الجديد، وقد ارتدوا أقنعة خدام علم ورسل ثقافة ومبشّرين بالتفاهم والتقارب بين شعوبهم وبيننا! وغزتنا مؤسسات ثقافية أجنبية قوية النفوذ لها قدرة كبيرة على وسائل النشر وأفانين الدعاية والإعلان[2].

وكانت الدكتورة عائشة حريصة على إيقاظنا من سباتنا، فأمدّتنا بالتأريخ للمؤتمرات الاستشراقية حتى عام ١٩٥٧م وهي كالتالي:

**في القرن الماضي عقدت دورات المؤتمرات الاثنى عشر الأولى:**

باريس ١٨٧٣، ولندن ١٨٧٤، وسانت بيترسبرج ١٨٧٦، وفلورنس ١٨٧٨، وبرلين ١٨٨١، ولندن ١٨٨٣، وفيينا ١٨٨٦، وستوكهلم ١٨٨٩، وجنيف ١٨٩٤، وروما ,١٨٩٩

**ثم في القرن الحالي عقدت المؤتمرات التالية:**

هامبورج ١٩٠٢، والجزائر تحت الاحتلال الفرنسي- ١٩٠٥ وكوبنهاجن ١٩٠٨، وأثينا ١٩١٢، وأكسفورد ١٩٢٨، وكوبنهاجن ١٩٠٨، وأثينا ١٩١٢، ولندن ١٩٣١، وروما ١٩٣٥، وبروكسل ١٩٣٨، وباريس ١٩٤٨، وإسطنبول -في ترك

(١) ويصف الأستاذ مصطفى السحرتي أولئك بأنهم المستغربون الذين يعيشون على فضلات أوروبا يكاب من عقدة الخواجة وينتقصون من تراثنا؛ لأنه كتب على أوراق صفراء! ويقول: (وما يعيب الفكر الأ أن يكتب على أي لون من الورق وإنما يعيب الفكر اصفرار النفوس وأمراض القلوب، أو كما قال الله تعالى في محكم كتابه ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ﴾، (دراسة بعنوان: التراث والتقدمية، ص ٣٠١، كتاب جمعية الأدباء سنة ١٩٧١م).

(٢) نفسه ص ٦١/٦٢.

التي انسلخت من الشرق- ١٩٥١، وكامبردج ١٩٥٤، ثم (هذه الدورة في ميونيخ ١٩٥٧)[١].

إن الإصرار على الاستمرار في عقد مؤتمرات للمستشرقين يدعونا إلى التفسير والتعليل بأن هناك أهدافًا إستراتيجية ثابتة؛ حيث استطاع المستشرقون- كما يذكر دكتور عبد الكريم عثمان- أن يحققوا كثيرًا من الأهداف التي خططوا لها وأثاروا في العالم الإسلامي شبهات حول الإسلام ونبي الإسلام ﷺ والمصادر الإسلامية، وأحدثوا في نفوس المسلمين يأسًا من مستقبل الإسلام ومقتًا على حاضره وسوء ظن بماضيه، ولكن منهم قلة ساعدت على نشر كنوز التراث الإسلامي، أما معظمهم فإنهم يهدفون إلى أحد أمرين:

-**الأول منهم:** إما منتمون لمؤسسات دينية يعملون لها منسجمين مع مخططات التبشير.

- **والثاني منهم:** من يعملون لمؤسسات سياسية فهم يحققون غرضًا استعماريًا أو نشاطًا لتدعيم نفوذ إحدى الدول، وقد كان هؤلاء روّاد الدول الغربية إلى الشرق للتعرف على أوضاعه ومشكلاته كيما تتحقق لهذه الدول طاقات أكبر على التسلل والتسلط[٢]، وعلى ضوء معركة الصراع الفكري التي دلّنا عليها مالك بن نبي، فإن دورهم يتلخص في إدارة هذا الصراع من وراء الستار الذي لا يتوقف أبدًا؛ **(فإن قادة الصراع الفكري ومراصدهم موزّعة في العالم، وهي دائمة المتابعة والمراقبة)**[٣].

- **النموذج الثاني:**

دكتور عبد الرحمن بدوي بتجربته الثقافية الفريدة؛ حيث كان مقيمًا بباريس دارسًا لتاريخ الغرب ومذاهبه الفلسفية وعقائده الدينية. فتعمق في الثقافة الأوروبية الغربية وعرف مصادرها ودوافعها الخفية وتعامل مع مستشرقيها، ويعد صراع طويل خاضه

(١) نفسه ص ١٥٥.

(٢) د. عبد الكريم عثمان (معالم الثقافة الإسلامية) ص ١٠٢ ط ٣ مؤسسة الأنوار - الرياض.

(٣) مالك بن نبي (مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي) ص ١٩٢ ترجمة محمد عبد العظيم، مكتبة عمار بالقاهرة سنة ١٣٩١هـ -١٩٧١م.

طوال حياته في معركة نفسية بين الأصالة والمعاصرة، رجّح العودة إلى أصوله الإسلامية. وبمراجعة أطوار حياته لنا ملاحظات هي:

- **أولاً:** أن الدكتور عبد الرحمن بدوي -رحمه الله تعالى- قدّم لنا خلاصة تجربته الثقافية -وبخاصة العقدية والفلسفية- حيث هداه الله عز وجل في نهاية حياته إلى معرفة الحق، ونوّر بصيرته لتصبح تجربته مصدراً يُستفاد منه لإعادة النظر في المناهج الفلسفية بجامعاتنا؛ لكي تفسح مجالاً واسعًا للدراسات النقدية ولمذاهب الفلسفة وتاريخها؛ وذلك لتحصين الطلاب من الفتنة التي خدعت أجيالاً من قبل، وكأنه بهذا التحول المذهل يدق ناقوس الخطر تحذيراً من نظام التعليم الجامعي المصطبغ بصبغة ثقافة الغرب، والذي سمّم عقول عدد من الشباب لا يعلم عدده إلا الله عز وجل.

- **ثانيًا:** ضرورة تعريف شبابنا بالأدباء والمفكرين والزعماء الذين كانت إبداعاتهم مشتقة من الإسلام وتاريخه، بدلاً من الشخصيات التي قادت حملة التغريب، واحتلت المساحة الثقافية طيلة عقود بغير جدارة، مع التوسّع أيضًا في دراسة الثقافة الإسلامية بفروعها المتشعبة من عقائد وعبادات ومعاملات ونظم وقيم أخلاقية، إذا أُريد لأمتنا لتنهض من جديد على يد الأجيال القادمة بمشيئة الله تعالي. وعلينا أن نسترجع دائمًا حكمة عمر بن الخطاب رضي عنه لقوله لأبي عبيده رضي الله عنه: **(إنكم كنتم أذل الناس، وأحقر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله)**[1].

وقد دلّنا الدكتور عبد الرحمن بدوي إلى الطريق الصحيح للنهضة، بعد أن أيقن أن غيره من الطرق مسدودة، بل عادت علينا بالوبال والانحطاط، وواقعنا الحاضر خير دليل.

- **ثالثًا:** وكما عاد الدكتور عبد الرحمن بدوي إلى الإسلام ليستظل بظله الظليل، ولينعم بالإيمان ويتذوق حلاوته، فكأنه يدعو أمته أيضًا للتخلص من أدران التغريب

(١) ابن الجوزي (مناقب عمر) ص ١٧٠ مكتبة الأسرة.

والعودة إلى تراثها الإسلامي من جديد؛ إذ ثبت من واقع التجارب التاريخية التي خاضتها من عصر النبي ﷺ، أنه هو وحده مصدر قوتّها وعزتها وأساس حضارتها، وأنه لا مفر -إذا أردنا النهوض واجتياز طريق التقدم- من العودة إلى الارتفاع إلى المستوى الذي وصلت إليه أمتنا عندما كانت تسير على الطريق المستقيم لعدة قرون، وكانت وقتذاك تسود غيرها من الأمم.

وفيما يلي مضمون الحوار الذي دار معه بواسطة مندوب مجلة الحرس الوطني بالسعودية، وهو كاف بذاته ولا يحتاج إلى تعليق.

كانت آخر أمانيه قبل أن يُتوفَّى في شهر يوليو عام ٢٠٠٢م أن يمد الله في عمره حتى يتمكن من خدمة الإسلام والدفاع عنه بعد أن ظل ستين عامًا من عمره في خندق الوجودية معاديًا لدينه وقضايا أمته، ولكن لم يمهله القدر لتحقيق كل أمانيه، وإن كان قد سجَّل قبل وفاته مراجعاته وكفره بالفلسفة الوجودية وغيرها من الفلسفات التي تصادم الفكر الإسلامي، وقد أجرت مجلة (الحرس الوطني) حوارًا مع الدكتور عبد الرحمن بدوي، وأثناء تجهيز الحوار للنشر ومثول المجلة للطبع تناقلت وسائل الإعلام خبر وفاته، وقد كشف المفكر العربي الراحل في حواره الكثير من الأسرار والخفايا، وفي مقدمتها براءته من الوجودية وأوزارها، والهجوم الذي تعرض له بعد إصداره للكتب التي تدافع عن الإسلام.

والغريب أن كل الكتابات التي تحدثت عن الدكتور بدوي بعد رحيله لم تتعرض -لا من قريب ولا من بعيد- لمراجعاته وعودته للفكر الإسلامي بعد اغتراب ستين عامًا، والأغرب من ذلك أن الذين كانوا يحتفلون بشطحات الدكتور بدوي وكتاباته المنحرفة لم يعجبهم أن يتحول إلى الفكر الإسلامي النقي، وهاجموه بعد أن أصدر كتابيه (الدفاع عن القرآن ضد منتقديه)، و(الدفاع عن محمد ﷺ ضد المتقصين من قدره)[1].

---

(١) قال في آخر حوار معه أجرته مجلة الحرس الوطني عدد ٢٤٤ في ٨/ ١/ ٢٠٠٢: (عدت إلى الإسلام بعد اغتراب ستين عامًا)!

وقد رأينا نشر الحوار مع الدكتور بدوي دون تدخل أو تعديل في السياق الزمني للحوار.

**المحرر:**

هو من الطيور العائدة إلى نقاء الفكر الإسلامي عن حب واقتناع ودراسة، بعد أن اغترب عنه واجتذبته فلسفات وأفكار أوروبية خادعة، رجع أخيرًا وأيقن أن الحضارة الإسلامية هي خير ما أنتجه الفكر الإنساني على مر العصور، وآب إلى رشده مؤكدًا عظمة الإسلام كدين ورسالة، وأن الوجودية التي حمل لواءها لمدة ستين عامًا ليست إلا شطحات وخزعبلات لا قيمة لها في دنيا الناس والعلم الواقع.

إنه الدكتور المفكر العربي عبد الرحمن بدوي «٨٥ عامًا» الذي نبغ شابًا، وبرز أستاذًا جامعيًا، وخاض معارك طاحنة مع كبار المفكرين والأدباء في مصر والوطن العربي، أصدر العديد من الدراسات التي ألّبت عليه جميع التيارات، حتى وصفه البعض بأنه عدو التراث العربي الإسلامي، لكنه في النهاية، عاد وآب منقبًا عما في الفكر الإسلامي من النفائس والدرر، وحاملاً لواء الدفاع عنه ضد أباطيل المستشرقين ومن لفَّ لفَّهم من تلاميذهم في البيئة العربية، فأصدر كتابيه اللذين أحدثا دويًا في الداخل والخارج وهما: (الدفاع عن القرآن ضد منتقديه)، و(دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره).

هاجمه المرض مؤخرًا، وساءت حالته فرجع إلى مصر لتلقي العلاج، ومعه كان هذا الحوار الذي رفض فيه التصوير الذي يؤثر على عينيه وصحته.

**التوبة بعد الندم:**

**ماذا تود أن تقول وأنت على فراش المرض؟**

لا أستطيع أن أعبّر عما بداخلي من إحساس الندم الشديد؛ لأنني عاديتُ الإسلام والتراث العربي لأكثر من نصف قرن، أشعر الآن أنني بحاجة إلى من يغسلني بالماء الصافي الرقراق لكي أعود من جديد مسلمًا حقًا. إنني تبتُ إلى الله وندمت على ما

فعلت، وأنوي إن شاء الله بعد شفائي أن أكون جنديًا للفكر الإسلامي وللدفاع عن الحضارة التي شادها الآباء والأجداد، والتي سطعت على المشارق والمغارب لقرون وقرون.

**القرب من الله:**

**وهل تبرأت من كتاباتك السابقة عن «الوجودية» و«الزمن الوجودي» وعن كونك رائد الوجودية في الوطن العربي؟**

نعم، أي عقل ناضج يفكر لا يثبت على حقيقة واحدة، ولكنه يتساءل ويستفسر ويطرح أسئلته في كل وقت، ويجدد نشاطه باستمرار؛ ولهذا فأنا في الفترة الحالية أعيش مرحلة القرب من الله تعالى، والتخليّ عن كل ما كتبت من قبل من آراء تتصادم مع العقيدة والشريعة ومع الأدب الملتزم بالحق والخير والجمال، فأنا الآن هضمت تراثنا الإسلامي قراءة وتذوقًا وتحليلاً وشرحًا، وبدا لي أنه لم يتأتَّ لأمة من الأمم مثل هذا الكم الزاخر النفيس من العلم والأدب والفكر والفلسفة مثلما حدث لأمة الضاد! كما أني قرأت الأدب والفلسفات الغربية في لغاتها الأم مثل الإنجليزية والفرنسية واللاتينية والألمانية والإيطالية، وأستطيع أن أقول إن العقل الأوروبي لم ينتج شيئًا يستحق الإشادة والحفاوة مثلما فعل العقل العربي! **وتبيّن لي في النهاية الغي من الرشاد، والحق من الضلال.**

**مشروعات قادمة:**

**وماذا تنوي أن تقدم من مشاريع فكرية في المستقبل؟ وهل ستعود إلى باريس ثانية؟**

مشاريعي الفكرية القادمة -إن شاء الله- تتجه وجهة فكرية أخرى، تميل إلى الأصالة بعد أن افتضحت «المعاصرة» وعرّاها الجحود والتخلف والتعقيد.

وأنا من الباحثين عن أسس مرجعية للحضارة الإسلامية، وبصدد تأليف كتاب يكون مرجعيًا لمعالم الحضارة في الإسلام: سماتها، أسماؤها، معالمها، اتجاهاتها، شخصياتها، أبرز علمائها، إلخ، وهناك كتاب آخر عن الأدب والعقيدة: دراسة في

نماذج مختلفة، وغير ذلك من الموضوعات التي تستمدّ من الأصالة وتتعمقها وتتشربها أصلاً ونبراسًا وطريقًا لا مناص ولا محيد عنه، وربما أعود لباريس ثانية.

**الرافعي المظلوم:**

خلافك مع كبار المفكرين كالدكتور طه حسين، وقولك إنه لم يقدم ما يستحق عليه لقب «عميد الأدب العربي»، هل ما زلت مصراً عليه؟

نعم، وليقارن القارئ بين إنتاج طه حسين وإنتاج معاصريه كالرافعي مثلاً، ذلك الأديب الكبير المظلوم، الذي يمتلك قدرات ومؤهلات أدبية وفكرية خارقة، وصاحب قلم رشيق، وخيال خصب، وعبارات مبتكرة، وكتابات توزن بميزان الذهب. بينما نجد على النقيض أعمال طه حسين الضاربة في اتجاه معاداة الإسلام واللغة العربية والدعوة إلى الفكر الغربي ثقافة وأدبًا[1].

**خطايا الحداثة:**

**وما رأيك في الحداثة بعد أن افتضح أمرها، وثارت حولها القصص والحكايات بشأن التمويل والعلاقات المشبوهة مع المخابرات الغربية؟**

الحداثة ماتت في الغرب في السبعينيات، لكننا أحييناها على ترابنا، وفي جامعاتنا ومعاهدنا، وفي منتدياتنا الفكرية والثقافية والأدبية، وعادينا من أجلها تراثنا العظيم، وشعرنا العمودي، وفكرنا القويم، وخضنا بسببها حروبًا طاحنة واشتباكات فكرية لا طائل من ورائها!! ولم يفطن أدباؤنا ولا مفكرونا إلى حقيقتها وإلى أوزارها ومساوئها إلا بعد صدور هذا الكتاب (**الحرب الباردة الثقافية: دور المخابرات المركزية الأمريكية في الثقافة والفن**) الذي أحدث صدمة قوية بالنسبة لهؤلاء المتغربين، فاقتنعوا أخيراً بما كنا نقوله من قبل[2].

(١) ولكن -والحمد لله- تحوّل الدكتور طه حسين (من الانبهار بالغرب إلى الانتصار للإسلام) في نهاية حياته وهذا عنوان كتاب للدكتور محمد عمارة (هدية شهر ذي الحجة سنة ١٤٣٥ لمجلة الأزهر)، وقد ألف الدكتور طه حسين في مرحلته الأخيرة -قبل وفاته- كتاب (مرآة الإسلام) ط دار المعارف سنة ١٩٥٩م (والشيخان، نفس الدار سنة ٢٠٠٣م) ويتضمنان مراجعاته الفكرية.

(٢) يؤكد ذلك الكتاب دور المخابرات الأمريكية في إشاعة (الحداثة) عن طريق تجنيد بعض المثقفين العرب!!

**وحش العولمة:**

**يهاجم الجميع العولمة لما يكتنفها من هيمنة وغزو وسيطرة ومحق لثقافات وهويات الآخرين الحضارية، فما رأيك في ذلك؟**

العولمة شبح يريد الفتك بنا جميعًا، فهي وحش كاسر يتربص بالعالم كله لكي يستحوذ عليه ثقافيًا وفكريًا وحضاريًا واقتصاديًا وعسكريًا، وهي استعمار جديد، وهيمنة غربية على مقدرات العالم وعقوله وأفكاره وأمواله! ويجب أن نتصدر لها وأن نفيق لمخططاتها الجهنمية.

**وهل تقدرون مغبة عودتك الحميمة للإسلام بالنسبة للحداثيين والعلمانيين الذين سيشنون حربًا شرسة ضدكم؟**

ما دمت قد هاجمت الأصلاء وعرَّضت بهم وبإنتاجهم لسنين وسنين، فما المانع أن أذوق من نفس الكأس وأن أشرب منه بعد أن تسببت في تجرع الكبار من هذا الكأس من قبل؟! وأنا سعيد بأن يهاجمني الوجوديون والعلمانيون والشيوعيون؛ لأن معنى ذلك أنني أسير على الحق، وأنني على صواب، ولا أكترث بما يكتبون؛ لأن القافلة تسير والكلاب تنبح.

**وماذا تتمنى في هذه اللحظة؟**

أتمنى أن يمد الله في عمري لأخدم الإسلام، وأرد عنه كيد الكائدين وحقد الحاقدين.

اللهم اغفر له وارحمه، آمين.

**حاشية:**

ومع الشرح والتحليل للنموذجين السابقين نضيف إليهما باختصار أربعة نماذج وكلها تؤكد أنه لا طريق لنهضتنا إلا بإحياء حضارتنا الإسلامية وفق أصولها وهي كالتالي:

**• الأول:**

بالتعريف بالعالمة الألمانية سيجفريد هونكه (١٩١٣-١٩٩٩):

حصلت على الدكتوراه من جامعة «همبولت» في برلين سنة ١٩٣٩م، وقامت بتدريس الفلسفة وعلم النفس الجمعي للشعوب وعلم الأديان المقارن واللغة الألمانية وآدابها وتاريخ القرون الوسطى في كثير من الجامعات.

كما قدمت للمكتبة أعمالها الفكرية المتميزة، التي تخصصت في دراسة الإسلام وحضارته، مقارنة بالحضارة الغربية والنصرانية. ومن هذه الأعمال الفكرية: (شمس الله تسطع على الغرب)، ولقد بيعت منه أكثر من مليون نسخة وصدرت الترجمة العربية بعنوان: (فضل العرب على أوروبا)، وكتاب: (الله ليس كذلك). و(العقيدة والمعرفة).

ولقد أسست لمشروعها الفكري (المقارنات الحضارية والدينية) سنة ١٩٧٣ رابطة حملت اسمها، وتولت الرئاسة الفخرية لها، وهي عضو شرف بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر-وحاصلة على كثير من الجوائز والأوسمة العالمية، منها وسام الاستحقاق والتقدير المصري من الطبقة الرفيعة في العلوم والفنون سنة ١٩٨٨ .

المصدر: دكتور محمد عمارة (دراسات غربية تشهد لتراث الإسلام ٩) ص ٣٨/ ٣٩ هدية مجلة الأزهر شعبان سنة ١٤٣٦ .

**• الثاني:**

قيام الدكتور طه حسين بتصحيح ما قاله بكتابه (الشعر الجاهلي) فيما يتعلق بالقرآن.

يقول الدكتور محمد رجب البيومي (، فأصدر كتابه: (في مرآة الإسلام)؛ ليعصف بكل ما قدمه من الشبهات الواهية، ويصف القرآن بقوله (وإنك ترى من جمال اللفظ وروعة الأسلوب وإنشاء النظام ما يسحرك ويبهرك، ويملك عليك أمرك كله، فإذا أنت خاشع لما تسمع أو تقرأ معجب به مستزيد منه، وقال طه حسين أيضًا: (إن

اختلاف مذاهب القول في القرآن دليل قوي من دلائل الإعجاز، ولو ذهبت أصف فنون الإعجاز في القرآن، وملاءمته لكل مذهب من مذاهب القول لما فرغت من الحديث)، ثم علّق دكتور البيومي على ذلك بقوله: (هذا هو طه حسين حين فاء إلى الصواب، فمحا بضوء الصباح ظلام الليل) ص ٤٨.

المصدر: مقال بعنوان: (صفحة من تاريخنا الأدبي المعاصر-تحولات العقاد وزكي مبارك وطه حسين ومنصور فهمي)، مجلة الهلال يوليو ٢٠٠٤م

• **الثالث:**

تراجع علي عبد الرازق عن رأيه المدّون بكتاب (الإسلام وأصول الحكم)، يقول الدكتور البيومي: (وأحمد الله أن وفقني للقاء الأستاذ. فمناقشته بأدب بالغ في وجهة نظره مناقشة الطالب الصغير للأستاذ الضليع، ففاجأني بأنه لم يقل إن الإسلام صلة روحية، وأنه أعلن ذلك في مجلة رسالة الإسلام الصادرة في رمضان ١٣٨٠هـ -يوليو سنة ١٩٥١م، ووقع في يدي هذا العدد، وقرأت منه هذه الفقرات:

فقد زعم الطاعنون أني في ذلك البحث قد جعلت الشريعة الإسلامية شريعة روحانية محضة، ورتبوا على ذلك ما طوعت لهم أنفسهم أن يفعلوا، أما أنا فقد رددت عليهم بأني لم أقل ذلك مطلقًا، لا في هذا الكتاب ولا في غيره، ولا قلت شيئًا يشبه هذا الرأي أو يدانيه.

وعلق الدكتور البيومي في النهاية فقال (وإذن فقد تراجع الأستاذ عن رأيه المدوّن في كتابه ص ٦٩ وما بعدها، ولعله نسي ما كتب، وهذا أمر يحدث كثيرًا، والعجب أن نقرأ من القائمين على نشر ما يسمونه كتب المواجهة في وزارة الثقافة، **أعادوا نشر كتاب الأستاذ وهم يعلمون أن صاحبه تراجع عن مضمونه، يعلمون ذلك لأني أشرت** لهذا التراجع في مجلة الثقافة وغيرها. (نفس المقال ص ٤٩)[1].

(١) وهذا أمر يدعو إلى الدهشة والتساؤل.. ويدل على أن التيار العلماني حريص على ألا يفقد سندًا قويًا كان يعتمد عليه؛ إذ تراجع علي عبد الرازق عن رأيه يؤدي إلى انهيار حجة العلمانيين وتهافتها التام!!

● **الرابع:**

ما أكده الأستاذ فتحي رضوان من دراساته لقادة النهضة في مصر بكتاب: (دور العمائم في تاريخ مصر الحديث)، أن الاستنارة كانت دائمًا إسلامية، وأن حاملي مشاعل الحضارة والمدنية المؤثرين في صياغة العقل الجمعي لمصرنا المحروسة، كانوا دائمًا، منذ مطلع القرن حتى الآن، من داخل الدائرة الإسلامية.

وعندما عرض لتاريخ الشيخ عمر مكرم، وصفه بأنه **زعيم مصر غير منازع منذ جاء الفرنسيون إلى مصر**، وبقي بعيداً عن قوّاد الحملة، بمن فيهم نابليون لا يتودد إليهم كما فعل بعض العلماء، ولم يستطيعوا أن يمسّوه بسوء لعلمهم بعظم مقامه حتى اضطروا إلى مغادرة مصر عام ١٨٠٠، ويصفه بأنه: **(كان في طليعة الشيوخ المعمّمين الذين صاغوا مصر الحديثة)**. فتحي رضوان (دور العمائم في تاريخ مصر الحديث) ط الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٦هـ-أبريل سنة ١٩٨٦.

هذا، وللمكانة المرموقة للشيخ عمر مكرم ولدوره الفعال في تاريخ مصر الحديث - أفرد له الدكتور عبد العزيز الشناوي، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الأزهر-كتابًا خاصًا أوضح فيه مناقبه، وبخاصّة عندما استجاب لأهل رشيد لصد عدوان الإنجليز بقيادة فريزر الذي استولى على الإسكندرية عام ١٨٠٧م، فقام عمر مكرم باستنفار أهل القاهرة ومدن أخرى للوقوف مع أهل رشيد جنبًا لجنب، وقد تحقق الانتصار على يديه وهُزم الإنجليز واضطروا إلى الفرار.

كذلك كان له دوره الكبير في قيادة ثورة القاهرة الثانية والتي بسببها تم جلاء الجيش الفرنسي عن مصر، فضلاً عن وقوفه في وجه الطاغية محمد علي ثابتًا على مبدئه (لم يرهبه وعدٌ أو وعيدٌ، بل صدق ما عاهد الله عليه، ومن ثم لخّص الدكتور الشناوي مناقبه بقوله: **(لقد ذهب عمر مكرم في تاريخ مصر كلها بطلاً وزعيمًا سجّل في تاريخ وطنه صفحات ستظل باهرة الضياء عبر القرون والأدهار)**. كتاب (عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية) ص ٨ (أعلام العرب) ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

ومع رغبتنا في الإيجاز، إلا أننا نرى من واجبنا تعريف الأجيال الشابة بمثل هذه الشخصية الفذة أيضًا، فقد كان رجلاً من رجالات مصر العظماء وزعمائها النبلاء. وصفه الأستاذ محمد فريد أبو حديد بأنه: (**أول زعماء مصر المجاهدين الذين ضحوا بأموالهم وأنفسهم، استطاع أن ينفخ من روحه في شعب مصر، فاستجاب له في حركة جهاد مليئة بالإقدام**، وضرب لهم بنفسه مثل التضحية والإيثار والنزاهة والبسالة)! ولما كان الأستاذ أبو حديد بمنهجه المفسّر للتاريخ يرى أنه ليس في استطاعة أمة من الأمم أن تحيا في حاضرها منعزلة عن ماضيها، فقد اتخذ من دراسته لجهاد عمر مكرم نموذجًا لصور المجد عرضها على الجيل الحاضر ليجد فيه مثلاً يحتذيه وأملاً يتطلع إلى تحقيق مثله! (كتاب بعنوان: زعيم مصر الأول: السيد عمر مكرم). كتاب الهلال مايو ١٩٩٧م باختصار ص ١٢/ ,١٣

هذا، ومما يثير الانتباه أنه حرص في عنوان كتابه على وصفه بأنه: (زعيم مصر الأول)!!

المقال الثالث:

# نقد الدكتور التفتازاني لمذاهب الفلسفة الغربية (وهي إحدى ركائز الغزو الفكري)

**تمهيد:**

كانت الفلسفة تدرس بالجامعة المصرية القديمة المعروفة بالأهلية، وقد اضطلع بتدريسها نخبة من مشاهير الأساتذة الأوروبيين مثل سانتلانا وماسينيون والكونت دي جلازدا. ولما أنشئت جامعة فؤاد الأول المعروفة الآن باسم جامعة القاهرة في سنة ١٩٢٥م كامتداد للجامعة المصرية، أنشئ بكلية الآداب بها قسم الفلسفة، وهو أقدم قسم للدراسات الفلسفية في العالم العربي، على النموذج الفرنسي، وكان يركز على أهمية الدراسات الكلاسيكية اليونانية والرومانية وعلى المواد الفلسفية المعروفة كتاريخ الفلسفة الوسيطة والحديثة والمعاصرة في أوروبا، والفلسفة الإسلامية، وما بعد الطبيعة، والمنطق والأخلاق وعلم الجمال ومناهج البحث في العلوم، ودراسة النصوص الفلسفية باللغة اللاتينية واللغات الأوروبية، وقد كان لأستاذنا الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر السابق، والذي عُيِّن أستاذًا بهذا القسم في سنة ١٩٢٧م فضل إرساء دعائم الدراسات الفلسفية الإسلامية في برامجه، في وقت كانت الدراسات الأوروبية مسيطرة فيه تمامًا على برنامج كلية الآداب، فصار هناك في برامج قسم الفلسفة تدريس علم الكلام والفلسفة الإسلامية الخالصة والتصوف الإسلامي (١).

نقد الدكتور التفتازاني المذاهب الفلسفية الغربية مثلما فعل الدكتور زكي نجيب محمود، الذي خاض تجربته الثقافية وتشبّع بالمذاهب الفلسفية الغربية، ثم انتهى به الأمر إلى تحوله إلى الأصل الإسلامي ونقل إلينا تجربته بإخلاص، وكان من رأيه التخلص من تدريس الفلسفة اليونانية وإحلال مكانها التراث الإسلامي؛ حرصًا على سلامة عقائد شبابنا. وبالمثل سنرى كيف أشفق الدكتور أبو الوفا التفتازاني على أجيالنا من تدريس المذاهب الفلسفية بلا انتقاء وبلا نقد أو تحذير من المهالك التي تؤدي إليها.

(١) د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، بحث بعنوان (تدريس الفلسفة) ص ٣٥٩.
ب) الفلسفة في مصر تدريسًا وبحثًا، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية يناير سنة ١٩٩٦م.

لذلك تقدّم باقتراح مشروع لتدريس الفلسفة سنعرض له فيما يلي باختصار:

- **كيف ننقذ مجتمعنا من الغزو الفكري في رأي الدكتور التفتازاني؟ (تقويمه للمذاهب الفلسفية الغربية):**

سنعرض فيما يلي مختصراً لبحث الدكتور أبو الوفا التفتازاني، وكان أستاذاً للفلسفة بكلية الآداب -جامعة القاهرة، وهو يقترح فيه منهجًا إسلاميًا في تدريس الفلسفة الأوروبية الحديثة والمعاصرة في الجامعة.

ويتضح من البحث في مجمله حرص الدكتور التفتازاني على حماية مجتمعاتنا الإسلامية من الغزو الفكري، ويقول في تساؤله عن جدوى تدريس الفلسفة الأوروبية في عصرنا؟

يقول: وإذا رأينا أن لتدريسها بعض النتائج النافعة، كأن تزوِّد الطالب بثقافة عامة عن التطور الفكري في أوروبا الحديثة والمعاصرة، قد يحتاج إليها ليفهم مشكلات عصره، أو ليشحذ ذهنه، ويكسب ويتمرن على التفكير وينمي قدرته العقلية، أو ليكشف بنفسه ما يمكن أن يكون في الفكر الأوروبي من مبادئ إيجابية دافعة إلى التقدم الحضاري، فهل يكون ذلك على أساس منهج عقلاني حيادي، أو على أساس منهج إسلامي؟

وإذا كانت مجتمعاتنا الإسلامية قد عانت من الغزو الفكري الأوروبي الذي صاحب الاستعمار ولا تزال، وتريد أن تحتفظ بما لها من شخصية حضارية متميزة، فما المنهج الصحيح لمعالجة قضايا الفلسفة الأوروبية بما يحفظ عليها نظرتها الإسلامية الخاصة في كل ما يعرض عليها منها؟[1].

---

(١) ألقى هذا البحث أمام لجنة الفلسفة والعلوم الإنسانية بالمؤتمر العالمي الأول للتعلم الإسلامي الذي عُقد بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة (١٢ ربيع الثاني ١٣٩٧، ٣١ مارس إلى ٨ أبريل ١٩٧١)، ونُشر بمجلة المسلم المعاصر، بيروت، ١٩٧٩، الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الرابع يناير سنة ١٩٩٦م د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني.

وكيف يمكن بعد ذلك أن تتلافى مجتمعاتنا الإسلامية الآثار المدمّرة للمذاهب الفلسفية الأوروبية الإلحادية أو العبثية؟

وكيف نقنع شبابنا المسلم بأن الإسلام كدين وكحضارة يغني عن استيراد المذاهب الفلسفية الأوروبية على اختلاف ألوانها، على اعتبار أن هذه المذاهب من حيث هي فكر إنساني، تحتمل الصواب والخطأ، على حين أن ما جاء به الإسلام باعتباره وحيًا لا يكون إلا صوابًا، ونفعًا كله للفرد والمجتمع؟

كل أولئك تساؤلات يجب علينا كمسلمين أن نجد لها إجابات واضحة محددة ومقنعة، ولا يجوز أن نشغل أنفسنا بالإجابة عنها في نطاق الفكر النظري وحده، وإنما يجب أن نتجاوز هذا النطاق إلى اقتراح الحلول العملية لتدريس الفكر الأوروبي الحديث والمعاصر في جامعاتنا الإسلامية، بإعادة النظر في برامج الدراسات الفلسفية، والالتزام بمنهج إسلامي في الدراسات يثبت للعالم أن من الممكن أن ينطلق العالم الإسلامي مرة أخرى فكريًا من الإسلام ليحقق تقدمه الحضاري المنشود بشقيه الروحي والمادي، وأن هذا العالم قادر على أن يتجاوز الفكر الأوروبي إلى فكر آخر نابع من تراثه الحضاري، وأكثر قدرة على معالجة العصر على أسس إيمانية وأخلاقية.

جاءت الفلسفة الأوروبية الحديثة منذ القرن السابع عشر الميلادي لتسير في نفس خطوط فلسفة عصر النهضة تقريبًا، وهي الابتعاد عن الدين، والاعتداد بالعقل، والعناية بالعلم المادي وتطبيقاته. وسار فلاسفة أوروبا المحدثون في اتجاهين رئيسين: الاتجاه العقلي، كما هو الشأن عند ديكارت، (١٥٦٩-١٦٥٠م) وسائر العقلانيين، والاتجاه التجريبي، وقد تزعمه بيكون (١٥٦١-١٦٢٦م) ومن جاء بعده من فلاسفة الإنجليز التجريبيين، وتميز هؤلاء الفلاسفة عمومًا بالعناية بنظرية المعرفة من حيث إمكانها وطبيعتها وأدواتها ومناهجها، وهم على الجملة أكثر اتزانًا وهدوءًا من مفكري النهضة.

أما الفلسفة الأوروبية المعاصرة، وتبدأ منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلى يومنا هذا، فقد غلب على مدارسها ومذاهبها الإلحاد الصريح[1] نتيجة الغرور بتقدم العلوم المادية والصناعات في أوروبا، أو التشاؤم الذي ساد بعض المجتمعات الأوربية في أعقاب الحرب العالمية الثانية:

فمن مذاهب الفلسفة الأوربية المعاصرة ما يؤمن بالتفسير المادي للوجود، لا ثمة في العالم إلا المادة وقوانين تطورها، وما العقل إلا أسمى نتاج للمادة، ولا يمكن فصل الفكر عن المادة، ونمو الحياة الإنسانية، فردية واجتماعية يتوقف تمامًا على الظروف المادية والاقتصادية، والصراع بين الطبقات هو الذي يتحكم في سير التاريخ[2]. والفلسفة عند هؤلاء هي النظر العقلي الذي يعمل على تغيير العالم.

ومن هذه المذاهب ما يرى أن العالم لم يوجد إلا اتفاقًا أو مصادفة، فلا خلق ولا خالق[3].

ومن فلسفات العصر أيضًا ما ينكر بحث الفلسفة في الوجود بإطلاق، ويتجه إلى التحليل المنطقي لألفاظ اللغة وعباراتها على أساس أن كل لفظ ليس له ما صدق في عالم الحسّ فهو لفظ زائف، وبالتالي فإن القضية التي تستخدم فيها مثل هذا اللفظ فارغة المعنى، والفلسفة في مفهوم هؤلاء تحليل منطقي لعبارات اللغة وألفاظها. ولو امتد منهج الفلسفة إلى نطاق الدين لأصبحت بعض قضايا الدين تتحدث عن غيبيات لا معنى لها، ومن هنا تعتبر هذه الفلسفة منتهية بطبيعة منهجها إلى تقويض أركان العقيدة الدينية، حتى وإن لم يُعنَ أصحابها بتحديد موقفهم من الدين صراحة[4].

---

(١) تقول هذا لأن منهل المسيحية أولًا ينكر الألوهية، ولكنها قليلة كمذهب برجسون المتوفى سنة ١ م ومذهب الوجودية المؤمنة كما يمثلها كير كجارد المتوفى ١٨٥٥ م، أو كما يمثلها في عصرنا جبريل، وكارل باسيرز.

(٢) الإشارة هنا إلى الماركسية، انظر:

Lalande :Vocabulaire ìect ,Art. ‹Materialisme Dialictipue ‹Append ;

Marx:Contribtion a la Critipue de L Ecconomie Politipue (1859) trd. 1928 4-5,Preface.

(٣) من أمثلة هذه المذاهب مذهب دارون في التطور.

(٤) هذا هو اتجاه الوضعية المنطقية في عصرنا، وهي مدرسة ظهرت في فيينا سنة ١٩٢٨م، وأبرز ممثليها الآن آير (Ayer) في إنجلترا.

ويوجد من بين فلسفات العصر أيضًا الفلسفة العملية التي اعتبر أصحابها صدق فكرة ما معناه التحقق من منفعتها بالتجربة، ومعيار الصواب والخطأ في مجال الأفكار والمعتقدات هو القيمة المنصرفة (cash value) لها في دنيا الواقع. وقد صرَّح أحد زعمائهم بأن علينا أن نعود مرة أخرى إلى قول بروتا جوراس السوفسطائي: الإنسان مقياس الأشياء جميعا[١].

وثمة فلسفة أخرى في عصرنا تنطلق من القول بأن حياة الإنسان لا معنى لها ولا هدف منها إلا الإلحاد. ويرى بعض أصحابها وجود الإنسان على هذه الأرض مجرد مأساة، وأمرًا غير مفهوم أو معقول. ويرى بعضهم الآخر حرية الإنسان بإطلاق في تحقيق ماهيته، إذ لا إله يخلق وفق ماهية سابقة؛ ولذلك يكون الوجود الإنساني سابقًا على الماهية، ومآل الإنسان إلى العدم، فلا بعث ولا ثواب ولا عقاب. وهؤلاء يفهمون الفلسفة على أنها تبحث في الوجود الإنساني الواقعي المشخّص وعلاقته بالكون والآخرين. ومنهم أيضًا من يؤكد على عدم الإيمان بأي قيمة أخلاقية أو حقيقية مؤكدة، ويتجهون بعنف إلى الهدم فتوصف فلسفاتهم بوصف العدمية (Nihilism).

ومن الفلسفات الوجودية والعدمية، وهي في رأينا عبثية؛ من حيث إنها ترى الوجود الإنساني مجرد عبث، وتشاؤمية الطالع، وشاعت بوضوح في أعقاب الحرب العالمية الثانية ?خصوصًا في فرنسا- كرد فعل للمحن التي عانت منها المجتمعات الأوروبية. ومن أسف أنها تشيع في عصرنا شيوعًا غير عادي عن طريق الكتابات الأدبية والمسرحية في أوروبا، وهي كفيلة بالقضاء على أعظم ما أنتجته البشرية من حضارة؛ لأنها تقتل في الإنسان طموحه فلا تجعل له هدفًا ما يسعى إليه!!

نحن إذن في العالم الإسلامي أمام خطر شديد، وهو خطر تسرب مثل هذه المذاهب الفلسفية المعاصرة في أوروبا إلى أذهاننا بحيث تشلُّ قدرتها الذاتية على

(١) المقصود هنا الفلسفة البرجماتية، وهي التي نشأت في أمريكا في مطلع القرن العشرين على يد بيرس المتوفى سنة ١٩١٤م، ووليم جيمس المتوفى سنة ١٩١٠م، وجون ديوي المتوفى سنة ١٩٥٢م وهي الفلسفة السائدة في أمريكا الآن.

التفكير، وتنحرف إلى الإلحاد والهدم. وقد حدث شيء من ذلك فعلاً، فكل المذاهب التي أشرنا إليها لها أنصارها ودعاتها في عالمنا العربي والإسلامي، وهو أمرٌ لا ينبغي أن نهوِّن منه، أو من آثاره في مجتمعاتنا الإسلامية على المدى القريب أو البعيد؛ لأن معاول هدمها في هذه الحالة في بعض أبنائها ممن تمذهبوا بمذاهب معادية للإسلام، آلوا على أنفسهم أن ينشروها مهما تكن النتائج، إما لإيمان بها، أو لتحقيق منافع ذاتية؛ أو لأنهم مجرد أدوات في أيدي أعداء الإسلام يسخرونهم لتنفيذ مخططات استعمارية من نوع جديد!!

ولعله قد اتضح الآن مما ذكرناه عن مفهومات الفلسفة في أوروبا منذ العصر الوسيط إلى الآن، أنها مرفوضة من وجهة نظر الإسلام، وهي غريبة على مجتمعاتنا الإسلامية؛ لأنها نبعت في أوروبا من واقع تاريخها الحضاري والديني والسياسي والاجتماعي.

فمفهوم الفلسفة في عصر المدرسيين مرفوض لدينا، فليس من شأن الفلسفة في الإسلام -باعتبارها نظراً عقليًا- الخضوع الأعمى لسلطة دينية شبيهة بالكنيسة، فليس في الإسلام نظام كنسي، أو سلطة علمية كسلطة أرسطو، وكل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ.

هذا، ويذم القرآن الكريم التقليد للآراء السابقة الموروثة كما في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]. وينعي القرآن الكريم على أولئك الذين ألغوا أشخاصهم وعقولهم فعبدوا الأحبار والرهبان بمثل قوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]. ويتحدى القرآن الكريم المقلدين للعقائد الباطلة الموروثة بمثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

يُضاف إلى ما تقدّم أن القرآن الكريم يدعو الإنسان صراحة إلى استخدام المشاهدة الحسيّة من النظر العقلي؛ وذلك لمعرفة آيات الله تعالى في خلقه، والآيات على ذلك أكثر من أن تُحصى في هذا المقام[1].

ولهذا فإن مفهوم الفلسفة الذي شاع في أوروبا منذ عصر النهضة إلى الآن، وهو أن الفلسفة هي الفكر العقلاني الحر الذي يسير في طريقه مستقلًا عن الوحي وتعاليمه، مخالفًا أيضًا للإسلام، فإن العقل في الإسلام مقيد بالوحي، وإذا كان العقل يخطئ ويصيب فإن النبي ﷺ فيما جاءنا به من عقائد وأحكام عن طريق الوحي معصوم من الخطأ؛ ولهذا يجب دائمًا تصحيح ما يصل إليه العقل على أساس ما جاء به الوحي.

ولم يَحُد الفكر الإسلامي في مختلف عصوره عن هذا الاتجاه الذي يربط بين نظر العقل، وأحكام الوحي، فكان علماء التوحيد حريصين على إثبات ما جاء به الوحي من عقائد بواسطة إنظار العقل، وبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض مصنفاته مثل (موافقة صريح العقول)[2]، وحتى فلاسفة الإسلام الخلص، ابتداء من الكندي في المشرق وانتهاء بابن رشد في المغرب، كانوا معنيين دائمًا بالملاءمة بين نظر العقل وأحكام الوحي، فأصابوا أحيانًا وأخطأوا أحيانا أخرى، ولكنهم على كل الأحوال لم يعزلوا النظر العقلي عن الدين فيما عرضوا له من مباحث الفلسفة.

ولهذا لا ينبغي أن يتطرق إلى الذهن أن ما جاء به الإسلام من عقائد وأحكام يتعارض مع العقل، وكيف يتعارض وقد عرض القرآن الكريم عقائد الإسلام على العقل ودعاه إلى مناقشتها ليتميز الحق عن الباطل، وهو حين يعرضها يدلل عليها بالحجة الواضحة، كما يذكر العقائد المخالفة لها، ثم يكرّ بالحجة عليها، وكل ذلك من شأنه أن يثير عند المسلم حب البحث العقلي ليتأتى إيمانه لا عن تقليد وإنما عن اقتناع ويقين.

---

(١) انظر في تفصيل ذلك بحثًا لنا عنوانه: «الإنسان والكون في الإسلام»، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٥، ص ٣٤ وما بعدها.

(٢) واسم الكتاب كاملاً: (موافقة صريح العقول مع صحيح المنقول) أو: (درء تعارض العقل والنقل).

**نقده لدعاة التغريب:**

ومن رأيه أن كثيراً من المفكرين في عالمنا من الذين تشبَّعوا بفكر الغرب، بقصد أو بغير قصد، في وهم الاعتقاد بأن نهضة العالم الإسلامي في هذا العصر لن تتحقق إلا بسلوك نفس الطريق الذي سلكته أوروبا منذ عصر النهضة، ألا وهو التحرر من قيد الدين، غير راعين الاختلاف بين مفهوم الدين ووظيفته عندنا، وما يقابل ذلك عند الأوروبيين، وغير مدركين أن انطلاق العقل في أوروبا في اتجاه معاد للدين إن هو إلا رد فعل لاضطهاد الكنيسة للمفكرين والعلماء، وهو أمر لم يتفق لنا ولن يتفق في العالم الإسلامي؛ إذ يمكن أن تتحقق الانطلاقة الفكرية والعلمية في ظل الإسلام، وقد تحققت بالفعل في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية، واستفادت منها أوروبا في بناء نهضتها الحديثة.

ولسنا في حاجة إلى إسهاب القول في أن معظم مفهومات الفلسفة المعاصرة في أوروبا مناقض للإسلام، فهي تنطلق من الإلحاد، وهو ظلمات بعضها فوق بعض، وكل فيلسوف ينطلق في عصرنا من الإلحاد ﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ولهذا يلزمنا أن نحدد مفهومًا إسلاميًا للفلسفة(١) تستمد عناصره من الكتاب والسنة، والتراث الفكري للمسلمين، يراعي احتياجاتنا الفكرية في واقع مجتمعاتنا الإسلامية.

والمفهوم المقترح يمكن تلخيصه في العبارات التالية:

الفلسفة هي الفكر الاستدلالي المنظم الذي يتناول بالبحث: الله والكون والإنسان؛ ليحدد علاقة الله بالكون والهدف من خلقه، وعلاقة الإنسان بالله، وعلاقته بالكون ودوره فيه، ورسالته في هذه الحياة التي تعتبر وسيلة إلى حياة أخروية أكمل، كما

---

(١) لعلنا نعدل في المستقبل عن استخدام كلمة «فلسفة» المعربة عن اليونانية، ونستخدم بدلًا منها كلمات عربية استخدمها مفكرو الإسلام أحيانًا فيما بينهم وجعلوها مرادفات للفلسفة، وقد أطلق بعض علماء الإسلام أحيانًا على العلوم والمباحث التي تعتمد على العقل: «العقليات» أو «العلوم العقلية» أو «العلوم الحكمية».

يتناول بالبحث المناهج التي يستطيع بواسطتها أن يفهم نفسه أولاً، وأن يفسر ما حوله من ظواهر طبيعية أو اجتماعية لاستخلاص قوانينها أو سنن الله تعالى فيها، ثانيًا: وكذلك البحث في القيم التي يسلك وفقها في حياته، أو ينظم على أسسها مجتمعه ليغيره إلى ما هو أكمل، أملاً في مستقبل جديد للبشرية، وذلك كله على أساس ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من عقائد وأحكام تشريعية تضبط علاقة الفرد بربه، وبنفسه، وبأسرته، وبمجتمعه، وتحكم سير المجتمع في تقدمه.

**هل هناك فائدة من تدريس الفلسفة الأوروبية الحديثة والمعاصرة؟**

وإذا كانت أغلب مذاهب الفلسفة الأوروبية الحديثة والمعاصرة تسير في غير اتجاه الدين، فهل نسمح بتدريسها في المرحلتين الثانوية والجامعية، أو هل من الأفضل أن نحذفها من البرامج التعليمية لأنها ستزج بالطالب في معترك الآراء والمذاهب الإلحادية، وتبث في عقله شبهات هو في غنى عنها، وقد لا يخرج من دائرتها أبدًا؟

وهذا التساؤل له في رأينا ما يبرره، فإن الطريقة التي يدرس بها تلك الفلسفة في معظم جامعاتنا العربية والإسلامية الآن لا يؤمن معها من أن تتسرب إلى الطلاب أفكار إلحادية وشكوك فكرية، والدول الإسلامية لا ينبغي أن تترك هذه الشكوك وتلك الأفكار على اختلاف صورها لتتسرب إلى عقول الناشئة.

ومن السهل حذف الفلسفة الأوروبية الحديثة والمعاصرة من برامج التعليم، ولكن هذا ليس حلًا للمشكلة: ذلك أن عصرنا بما ابتكره من وسائل إعلامية كالصحافة والإذاعة المسموعة والإذاعة المرئية والسينما والمسرح والقصة وغير ذلك، وفن الدعوة المنظمة للمذاهب والآراء الاجتماعية والسياسية، لا يجدي معه أي انغلاق. ويستطيع الطالب الجامعي أو المواطن العادي أن يقف على ما يشاء من المذاهب والآراء، بوسائل متعددة، إما عن طريق أجهزة الإعلام في البلدان الأخرى. أو عن طريق الكتب والمجلات، أو عن طريق السفر إلى البلدان الأخرى، وتكمن الخطورة في هذه الحالة في أنه غير محصّن ضد الأفكار التي يسعى هو إلى معرفتها، أو التي تفد إليه. وتحصينه ضدها يتحقق بوسيلتين:

- الأولى: تنشئته منذ مراحل التعليم الأولى تنشئة إسلامية وفق برامج دراسية موضوعة بعناية، ومن خلال كتب إسلامية هادفة ومؤثرة، وتعويده على ممارسة عبادات الإسلام والالتزام بأحكامه التشريعية في المعاملات على اختلافها، وتحققه سلوكًا -لا علمًا فقط- بأخلاقيات الإسلام.

- الثانية: تقديم مذاهب الفكر الأوروبي إليه[1] من خلال وجهة نظر نقدية إسلامية، بحيث يقتنع في النهاية بأن الإسلام، بما انطوى عليه من مبادئ ومُثل، يغني عن استيراد أيٍّ من تلك المذاهب.

ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن الحضارة الأوروبية الحديثة، بجانبيها الثقافي والمادي، **قد غزت العالم كله، وقلة من المفكرين فقط هم الذين يفطنون إلى نواحي الضعف والقصور فيها؛ لأن العصر بوجه عام مبهور بما حققته من إنجازات علمية وتكنولوجية مذهلة.**

وفائدة دراسة الفلسفة الحديثة والمعاصرة، أنها تبين للناشئة ما في الفكر الأوروبي من إيجابيات وسلبيات، وكيف تطور هذا الفكر، والخطوط التي سار عليها، كما تشحذ عقولهم للبحث في مجالات متعددة من المعرفة، وتستنهض هممهم للتفوق والابتكار والتجديد.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن العصر الذي نعيش فيه هو عصر صراع الفكر (الأيديولوجي) بين أنظمة سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة، وهو صراع يستند إلى فلسفات معينة تسود هذا المجتمع أو ذاك، ومن ثم فإن **برامج التعليم لا يجوز أن تغفل في تكوينها للطالب ثقافيًا، المواد التي تعينه على فهم الأمور في عصره، وعلاقات عالمه الإسلامي بمختلف الدول والكتل السياسية المعاصرة، ومن بينها الفلسفة الأوروبية الحديثة والمعاصرة.**

---

(1) ليس هذا مقصورًا على أقسام الفلسفة بكليات الآداب والتربية فقط، وإنما يقدم الفكر الأوروبي إلى طلاب الكليات الأخرى، كالحقوق والتجارة والاقتصاد والعلوم السياسية، ويقدم أيضًا إلى أقسام الدراسات الأخرى في كليات الآداب والتربية، بحسب موضوع التخصص.

**المنهج المقترح وقواعده:**

يتألف هذا المنهج من مجموعة من قواعد تصلح في رأينا أساسًا لتدريس الفلسفة الأوروبية الحديثة والمعاصرة، وهي كما يلي:

- **أولاً:** ضرورة الربط في التدريس بين الفلسفة الأوروبية الحديثة والمعاصرة والإسلام وتراثه الفلسفي. وهذا الجانب الارتباطي يجنبنا اعتبار أي من هاتين المادتين كافيًا بذاته، أو لا علاقة له بالآخر مع أن العلاقة بين الفكر الإسلامي، والفكر الأوروبي ثابتة تاريخيًا، وعطاء الأول للثاني لا يُنكر.

- **ثانيًا:** تتبع الأصول الإسلامية للفلسفة والعلم الأوروبيين في عصر النهضة؛ باعتبارهما تمهيدين للفلسفة والعلم في أوروبا الحديثة والمعاصرة؛ وذلك لبيان أن النهضة الأوروبية، خصوصًا في ميدان العلوم التجريبية ومناهجها، لم تكن لتتحقق إلا عن طريق جهود فلاسفة الإسلام وعلمائه. وانتقال تراثهم إلى الغرب اللاتيني منذ القرن الثاني عشر الميلادي حين نشطت حركة الترجمة للكتب الفلسفية العربية.

- **ثالثًا:** يجب عدم تطويع الإسلام لأي مذهب فلسفي باسم التحديث، كما يجب إخضاع مشكلاتنا المعاصرة لمبادئ الإسلام وأسسه وروحه؛ لأن الإسلام وحي ثابت، وما عداه من آراء البشر حادث متغير، ولا يجوز إخضاع ما هو ثابت لما هو متغير.

- **رابعًا:** مذاهب الفلسفة في عالمنا المعاصر، اجتهادات قابلة للصواب والخطأ، ومن ثم ليس لها صفة الحقائق الثابتة، أو العمومية، فلكل أمة عقائدها وقيمها وفلسفتها النابعة من واقع تراثها، وما يصلح لمجتمعات الشرق أو الغرب لا يصلح بالضرورة لمجتمعاتنا، بل قد يوقع بها أبلغ الضرر؛ ولهذا لا يجوز أن نستورد فلسفات هي نتاج عصرها وبيئتها، ولا تصلح لغير هذه البيئة وذلك العصر[1].

---

(١) أصاب الفيلسوف البريطاني المعاصر برتراند رسل حين قال: «إن الفيلسوف هو نتاج بيئته»، وإنه قد «تبلورت وتركزت فيه الأفكار التي كانت سائدة في مجتمعه الذي هو جزء منه».

History of Western Philosophy .p.s.

- **خامسًا**: ضرورة التأكيد على أن الفلسفات الأوروبية المعتدة بالعلم الطبيعي وحده ومناهجه متعارضة مع الإسلام، وليس التعارض بين العلم الطبيعي والإسلام وإنما بين فلسفة العلم في الغرب والإسلام، وهي تلك الفلسفة التي آفتها: إبعاد فكرة الإله الخالق عن ميدان البحث، وحصر اليقين في دائرة الحس.

والدليل على أنه ليس ثمة تعارض بين العلم الطبيعي والإسلام، أن العلم الطبيعي ينظر إليه في الإسلام على أنه العلم بمخلوقات الله، وهو يقودنا إلى العلم بالله، فلا تعارض إذن بين العلمين، و«كلما كانت معرفتنا بالمصنوعات أتم كانت معرفتنا بالصانع تعالى أتم وأكمل»[1]، والذين يحصرون اليقين في دائرة الحس ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ [الروم: ٧] ﴿ **ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ** ﴾ [النجم: ٣٠].

- **سادسًا**: ضرورة تدريس مذاهب الفلسفة الأوروبية الحديثة والمعاصرة على أساس من إبراز مدى نجاحها أو إخفاقها عند التطبيق العملي لها في المجتمعات الذي ظهرت فيها.

سيتبين بوضوح أن دعاة الإلحاد في عصرنا حين يروجون لمذاهبهم لخدمة أهدافهم ومخططاتهم في مجتمعاتنا، وحين يعلنون أنهم تقدميون أو موضوعيون أو متحررون فكريًا، أو دعاة سلام، أو ما شابه ذلك من دعاوي، فإنهم لا يرددون في الواقع إلا شعارات خادعة لم يتحقق من ورائها شيء في واقع **مجتمعاتهم التي تئن تحت وطأة الانحلال الخلقي، أو القهر والاستبداد، أو التمييز العنصري، أو التحلل الاجتماعي المتمثل في حركات الرفض المعاصرة بين الشباب، أو غير ذلك من ظواهر هي ثمرة الابتعاد عن الله، وإقصاء الدين عن واقع المجتمع، أو محاربته علانية!!**

- **سابعًا**: ويجب في كل الأحوال تمكين الطالب الجامعي من المعرفة الموضوعية بالمذاهب الفلسفية الأوروبية الحديثة والمعاصرة، وتعويده على نقدها على أساس منهج العقل، ثم تمكينه من نقدها وتقييمها على أساس من عقائد الإسلام وشريعته

(١) فصل المقال لابن رشد، ص٢.

وقيمته الخلقية؛ وذلك ليتحقق الطالب من أن الإسلام **قادر على مواجهة العصر وتجاوزه إلى ما هو أفضل وأكمل**، وليست هذه هي المرة الأولى التي يواجه الإسلام فيها تحديًا من قبل المذاهب الفلسفية والمعتقدات والديانات الباطلة، ففي العصر العباسي مثلاً شاعت مذاهب وديانات فاسدة تسربت إلى المجتمع الإسلامي نتيجة احتكاك أبنائه بأبناء الشعوب المفتوحة، فتصدى علماء الإسلام آنذاك لهذا الخطر بدراسة المذاهب والأفكار الوافدة في أصولها ومصادرها كما هي، ثم ردوا عليها بمنطق العقل؛ ليبينوا بطلانها، ثم أثبتوا أن الإسلام يغني عنها ويدفع عنا ضررها. ولنا في جهود علمائنا السابقين قدوة، فالغزالي لم يكتب «**تهافت الفلاسفة**» إلا بعد أن تعمق في دراسة الفلسفة ومذاهبها، حتى فاق علمه بها علم الفلاسفة أنفسهم فيما يرى البعض؛ وبذلك أمكنه إبطال ما انطوت عليه الفلسفة آنذاك من آراء مناقضة للعقيدة الإسلامية، وكذلك فإن علم شيخ الإسلام ابن تيمية بالفلسفة ومذاهبها، والتصوف وفلسفته، والمنطق وبراهينه، هو الذي مكَّنه من أن ينتصر في النهاية لعقيدة السلف، ويبعد عن المسلمين خطر المذاهب الإلحادية أو الحائدة عن طريق الحق(١).

وبعدُ، فإن هذه القواعد العامة في تصوري كفيلة- إذا روعيت في تدريس الفلسفة الأوروبية الحديثة والمعاصرة- بأن تدرأ خطر الإلحاد، وذوبان شخصيتنا في شخصية الغير، وبأن تحول بين شبابنا وبين ذلك الإعجاب الذي يعمي ويصم في كثير من الأحيان بحيث يدفع كثيراً منهم إلى حدٍّ اتخاذ ذلك الفكر مثلاً أعلى لهم في الحياة، دون وعي بما ينطوي عليه ذلك من خطر داهم على مجتمعاتهم الإسلامية. هذا ومما يضفي على آراء الدكتور التفتازاني أهمية خاصة، ظهور دراسات جديدة انهارت أمامها الأسطورة الكاذبة التي أشيعت حول ما سُمّي بالمعجزة (اليونانية)! وهو ما كشف عنه أحد الدارسين وأثبت أن تلك الفلسفة مسروقة من الفلسفة المصرية!!

وهذه القضية هي موضوع المقال التالي.

---

(١) يُنظر كتاباه: (نقض المنطق) و(الرد على المنطقيين).

## المقال الرابع:

### تصحيح تاريخي

# الفلسفة اليونانية كانت مسبوقة بفلسفات شرقية في مقدمتها مصر

آن الأوان لكي ننفض عن أنفسنا غبار -التغريب- والتخلّص التام من آثاره -أي التحرر الكامل من الاستعمار الفكري واستعادة هويتنا الإسلامية الأصلية، والبدء ببناء مناهجنا التعليمية على الأسس القويمة من الكتاب والسّنة وما أبدعته قرائح علماء المسلمين العظام وإنتاجهم البالغ الثراء؛ حيث استبعده عن عمد الاستعمار الغربي أثناء احتلاله العسكري، وبحكم سيطرته على مؤسسات التعليم والثقافة والإعلام.

وقد فرض علينا دراسة مذاهب أوروبا الفلسفية لعصورها: اليونانية القديمة والوسطى والحديثة! ووضعها في مركز الصدارة بحكم تربيته للكوادر وبواسطة عمليات غسيل المخ للبعثات الموفدة طلبًا للعلم ببلاده ?منذ عصر محمد علي حتى الآن- وسعيًا للحصول على درجات الماجستير والدكتوراه وبعد عودتهم يتحوّلون إلى رسل ودعاة للثقافة الغربية، إلا من رحم الله من القلةّ! ثم ظهرت دراسات في السنوات الأخيرة بواسطة بعض علماء الغرب لكي تبرهن على أن أكذوبة المعجزة اليونانية الشائعة، وليس هذا فحسب بل إن الدراسات العلمية الموثقة برهنت على أن الكيان الثقافي والعلمي الأوروبي برمته مبني على التراث الإسلامي في جميع فروع العلوم والمعارف والآداب والفنون، ومن ثمّ انقلب السحر على الساحر، وثبت أن علماءنا هم الأساتذة وأن الغرب تتلمذ على أيديهم!! وما أكثر الدراسات والبحوث التي صدرت في هذا المجال، نختار منها اثنين فقط:

**• الأول:**

العالمة الألمانية دكتور زيغريد هونكة التي تقول: (لقد جوّل العرب الأندلس في مائتي عام حكموها من بلد جدب فقير مستعبد إلى بلد عظيم مثقف مهذب يقدّس العلم والفن والأدب، قدّم العرب لأوروبا سبل الحضارة وقادوها في طريق النور، فكل موجة علم أو معرفة قُدمت لأوروبا في ذلك العصر كان مصدرها البلدان الإسلامية، كما أوجد الإسلام باستيلائه على بلدان البحر الأبيض المتوسط، وضعًا

سياسيًا جديدًا أدّى إلى نقل مركز الثقل في الغرب من البحر المتوسط إلى ألمانيا، فأصبح الراين هو المنظم للسياسة الأوروبية . .

وتمضي قائلة: (ولعل أكبر دليل على هذا هو أن الغرب بقي في تأخّره ثقافيًا واقتصاديًا طوال الفترة التي عزل فيها نفسه عن الإسلام ولم يواجهه. ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيًا وعلميًا وتجاريًا واستيقظ الفكر الأوروبي على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته الذي دام قرونًا ليصبح أكثر غنًى وجمالًا وأوفر صحة وسعادة[1].

**•الثاني:**

الدكتور عبد الرحمن بدوي وهو يقول: (كان للعرب أثر بالغ واسع المدى في أوروبا في العصر الوسيط في كل ما يتصل بالصناعة والزراعة والبناء ومظاهر الحياة اليومية)، وكذلك تأثيرهم في تكوين العلوم النظرية، كما تدين المذاهب الفلسفية الكبرى في أوروبا من القرون الثالث عشر إلى السادس عشر، تدين بوجودها وآرائها الأصلية للفلاسفة العرب.

وفي المجال العلمي ذكر أن للعرب الفضل على أوروبا في اكتشافين: **الأول:** ما ذكره ماسينيون المستشرق الفرنسي أنّ ماجلان اهتدى في رحلته حول العالم بالغيوب التي اكتشفها العرب (النجم الثابت الجنوبي)، **والثاني** ما قاله نلينّو الإيطالي بأن قياس العرب لمحيط الأرض هو أول قياس حقيقي وهو من أعمال العرب المجيدة!![2].

---

(١) د. زيغيريد هونكه (شمس العرب تسطع على الغرب) ص ٥٤١ .

أثر الحضارة العربية في أوروبا، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي سنة ٢٠١٤م، ويقع الكتاب ٥٦٧ صفحة من القطع الكبير.

(٢) د. عبد الرحمن بدوي (دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي) صفحات ٣٧، ٤٢، ٢٤٥، ٢... ط مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٧م.

وهناك علماء مسلمون كبار آخرون اشتُهروا بنشر علومهم في عصورهم وأفاد منهم علماء الغرب بل نسبوها إلى أنفسهم!=

**الفلسفة اليونانية:**

شاعت لفترة طويلة فكرة خاطئة عن تميّز الفلسفة اليونانية؛ حيث غذّتها العنصرية الأوروبية المعهودة، عن تفوق العقل الآري، وظلت تتضخم بسبب كثرة ترددادها والإلحاح عليها، حتى صوّرت بما كان يسمّى المعجزة اليونانية!

وكشأن الباطل المتفش المثير للغضب سرعان ما تصدّى علماء وفلاسفة ومؤرخون لتلك الفكرة وعارضوها ببحوث ودراسات موثّقة تعتمد على براهين قاطعة، ومنهم غربيون أمناء!

لقد ظهرت بحوث جديدة كشفت عن حضارات مزدهرة؛ مما يؤكد أن (العقل الآسيوي لا يقل عمقًا وأصالة عن العقل الغربي، إذا صحّ إن كانت هناك مثل هذه

---

=ونذكر منهم في عجالة: البيروني فخر الرياضيات والفلك في الحضارة الإسلامية في شرقها، والزهراوي فخر الجراحة في غربها، والمجريطي فخر العلوم، والبطروجي فخر الرياضيات والفلك في الأندلس، وكان البيروني قد استطاع تزاوج الهندسة مع الجبر.. ووصلت جداوله إلى الحضارة الغربية مكتملة التراث في عصر النهضة وإحياء العلوم بأوروبا، فأعانت العصر في الأرصاد الفلكية التي أولاها كبلر ونيوتن إلى قوانين الجاذبية! ووضع البيروني نظرية لاستخراج مقدار محيط الأرض.. وخلّف أكثر من ١٨٣ مخطوطًا ضاع الكثير منها فاستحق بجدارة المديح البالغ من المستشرقين أمثال سنحاو الذي اعتبره من وجهة نظر تاريخ العلوم أكبر ظاهرة علمية في الحضارة الإسلامية، وشاركه في الرأي سديو وكاجوري وكال شوي، بل إن المستشرق المعاصر جورج سارتون يُسمّي القرن الحادي عشر قرن البيروني!!

وكان هناك موسوعة رياضية بكتاب «مفتاح الحساب» حققه ونشره الدكتور أحمد دمرداش لعالم الرياضة الكبير غياث الدين الكاشي، وهو أول من اكتشف نظرية ذات الحدين التي يُرجح أن نيوتن اطلع عليها ونسبها لنفسه، كما فعل بنظرية الضوء عند ابن الهيثم!!

وكان الطبيب المصري ابن النفيس هو الذي اكتشف الدورة الدموية، وكانت بحوثه تدرس في جامعة بارو بإيطاليا، وفيها تعلّم هارفي الإنجليزي الاكتشاف ونسبه لنفسه! ويقرر الدكتور دمرداش أن العلوم الإسلامية تشكلت بطابع الدقة والعمق التي استمدتها من علم الحديث وعلوم الفقه وغيرها.. ويقول في ختام دراسته: (نحن لا نستطيع أن نلم في هذا الحديث بالإنجازات الهائلة التي حققها العلماء المسلمون في ميادين العلوم الطبيعة الأساسية، أو تطبيقاتها، ولا أن نحصر هذا الميراث العظيم، ولا أن نخص هذا الركام الهائل من ألوف الكتب والرسائل والمؤلفات). المصدر: دراسة للدكتور أحمد سعيد دمرداش: (الرياضيات عند العرب.. ينبوع الفكر الرياضي الحديث) صفحات ١١٥-١١٧-١١٩-١٢٢-١٢٧ (جمعية الأدباء ١٩٧١م) ط كتاب (التراث العربي) دراسات عربية

القسمة للعقل البشري!)[1]، ويقول جون كوكر: (وفي اعتقادي أن تراث الفلسفة الشرقية لا يقل قيمة ولا أهمية عن تراث الفلسفة الغربية -أما الاقتصار على دراسة كبار المفكرين والمشكلات الرئيسة في التراث الغربي، فهو افتراض ضيق الأفق على نحو بالغ الوضوح- حتى أن المرء ليعجب من أنه استمر قائمًا دونما تغير له بصورة كاملة تقريبًا)! وهو يؤكد أن الفلسفة بدأت في الشرق القديم[2] وليس عند اليونان على نحو ما هو شائع.

وكان الدكتور جوستاف لوبون قد عرف الشرق معرفة حقه- ولم يستسغ الظن بأن اليونان غير مدينين في فنونهم وعلومهم وآدابهم لغيرهم من الأمم التي سبقتهم- ولكنه أثبت أنه لم يعد التسليم به ممكنا؛ إذ إن حضارة الإغريق وُلدت ونمت في الشرق؛ (ونحن نعلم اليوم أنه في العصر الذي لم يكن فيه اليونان إلا جهلة وبرابرة كانت هناك حضارات لامعة زاهرة على ضفاف النيل وفي سهول كلديا)[3].

كذلك الأستاذ ماسون أورسيل، يذهب إلى أن التفكير الفلسفي لم يبدأ في اليونان وأنه ليس وقفًا على الغرب وحده - بل إن الغرب مسبوق في هذه الناحية بالشرق، ومن الخطأ الزعم بأن اليونان وروما وشعوب أوروبا هم دون سواهم أرباب التفكير الفلسفي- ففي جهات أخرى من الإنسانية سطعت عدة مواطن للتفكير المجرد، وظهرت أشعتها جليًا في شتى الأنحاء[4].

ثم قامت الدكتورة عفاف فوزي نصر بكتابها **(الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية)**؛ لتكشف النقاب عن دور الحضارة المصرية وأثرها في تاريخ الفلسفة اليونانية، وتوضح الأصول المصرية القديمة في الفلسفة اليونانية، بعرضها لشخصية

(١) د. إمام عبد الفتاح (مقدمة لكتاب الفكر الشرقي القديم) لمؤلفه جون كوكر، ترجمة كامل يوسف حـ (عالم المعرفة) الكويت صفر ١٤١٦هـ -يوليو ١٩٩٥م.

(٢) جون كوكر ص ١٥ نفس المصدر، وينظر ظهر الغلاف.

(٣) د. محمد يوسف موسى، مقدمة كتاب بول ماسون -أورسيل (الفلسفة في الشرق) ص ٥ وهو مترجم الكتاب. دار العالم العربي - مدينة نصر بالقاهرة ٢٠١٩م.

(٤) نفسه ومصدره كتاب: (الحضارات الأولى) في أصله الفرنسي.

الفيلسوف اليوناني أفلاطون، وخاصة أنه أقام في مصر ودرس في جامعاتها ومعابدها ومدى تأثره بالعقائد المصرية القديمة[1]، وتقول: (وتتكشف لنا النتيجة المأساوية الواضحة، وهي نقل الإغريق للتراث الفلسفي المصري؛ لأن هذه الفلسفة كانت لا تدوّن كتابة، وإنما تُلقّن شفاهة، بعد أن قام الإغريق بترجمتها إلى اللغة اليونانية أثناء وجودهم في مصر لدراسة التعاليم المصرية القديمة في مدارس مصر وجامعاتها، وعلى رأسها مدرسة عين شمس[2].

إن كتاب الدكتورة جدير بالاهتمام والدراسة لجدّة موضوعه ولدوره المؤثر في إبطال الفتنة والانبهار الذي غلب على بعض المستغربين منّا سواء بسبب حضارة الغرب أو فلسفاته!

وسنقتصر فقط على تلخيص كشفها لأصل الفكر المصري القديم على فلسفة أفلاطون، ونقله للكثير من هذا الفكر ليقيم عليه بعض نظرياته الخاصة بتكوين العالم والسياسة، وهذا ما وجدته واضحًا في محاورة الجمهورية وطيماوس، وبالنسبة لكتابه (الجمهورية) يصرح الباحثون المحدثون والمؤرخون القدماء أن موضوع الجمهورية ليس مؤلفه أفلاطون؛ حيث إنه موجود في كتاب المناظرات (لبروتاجوراس ٤٨١-٤١١ ق. م)، كذلك الصورة المجازية الموجودة ضمن المحاورة عن سائق العربة ذات الجوادين المجنحين، هي وصف خاصية النفس وخصوصًا في ساحة العدالة خلال مشهد يوم الحساب في الآخرة من (كتاب الموتى)؛ حيث لم توجد العربة الحربية في تاريخ حروب اليونان مطلقًا، فمن الواضح أن أفلاطون اقتبس تلك القصة المصرية ونسبها لمؤلفاته!![3]. هذا ما يتصل بالفلسفة اليونانية التي فرض علينا الاستعمار دراستها بمناهجنا التعليمية، ويضاف إليها قضيتان:

---

(١) د. عفاف فوزي نصر (الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية) ص ١٢ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠١٥م.

(٢) نفسه ص ١٨٦ -وفق مصادرها كتاب جورج جي. إم. جيمس، بعنوان: (التراث المسروق الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة)، ترجمة شوقي جلال، القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة ١٩٦٦م.

(٣) نفسه ص ١٩٤ والكتاب يقع في ٢١٦ صفحة من القطع الكبير. هذا، وقد ذكرت أسماء الفلاسفة والعلماء الذين زاروا مصر وتلقوا علومهم فيها وعددهم خمسة عشر (من ص ٨٠ إلى ص ٨٥).

**القضية الأولى: التزوير التاريخي مع المغالطة في تفسيره:**

ولا نجد أفضل ما يمثّل هذه القضية، وأكثرها تعبيراً عن طريقة التلاعب بالعقول، من واقعة الغزو الصليبي الفرنسي بقيادة بونابرت على مصر؛ حيث صورها العلمانيون بأنها أخذت بأيدينا -معشر المصريين- إلى طريق الحضارة والتقدم!! بينما يبرهن التاريخ الموثّق على أنها أدّت إلى وأد يقظة إسلامية، ولنحتكم في هذه القضية منذ بدايتها لرأي المؤرخة البريطانية كارين أرمسترونج؛ إذ تقول: (وفي عام ١٧٩٨ أبحر نابليون إلى مصر ومعه عشرات الباحثين المهتمين بالشرق، وأوكل إليهم مهمة القيام بدراسة علمية للمنطقة تمهيداً لاستعمارها، وكان هدف نابليون إرساء وجود فرنسي في الشرق يتحدى به استحواذ بريطانيا على الهند، وقد أعدّ نفسه لتوظيف علم الاستشراق الجديد لخدمة طموحاته السياسية[1].

وبعد سردها لتاريخ هذه الغزوة الاستعمارية التي جدّدت الحروب الصليبية في العصر الحديث، قالت: (وهكذا فشل مسعى نابليون في إقامة إمبراطورية في الشرق، وأجبر على العودة لأوروبا)[2]، ويقول الدكتور حسين مؤنس أيضًا: (وكانت الحكومة الفرنسية قد تأكدت أن الحملة المصرية قد فشلت تمامًا وأخذت تدبّر الوسائل لاسترجاع جنودها من مصر لإنقاذهم من أسرهم الطويل)[3].

ونلاحظ أن أرمسترونج عبّرت عن (هروبه من مصر) بذلك التعبير المهذب، أي (أجبر)، بينما صوّر المؤرخ المصري دكتور عبد العزيز الشناوي -أستاذ التاريخ بجامعة الأزهر- (هروبه) بقوله: (وهروب بونابرت من مصر من المشاهد التاريخية النادرة، قائد من أكبر القوّاد العسكريين الذين عرفهم العالم في التاريخ الحديث يهاجم مص

(١) كارين أرمسترونج، القدس. . مدينة واحدة عقائد ثلاث، ص ١٢ ترجمة د. فاطمة نصر ود. م عناني - مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م. ولا شك أن أولئك (الباحثين المهتمين بالشرق) هم المستشرقون بدليل ذكرته من (توظيف علم الاستشراق الجديد)! وقد أجمع الباحثون في الاستشراق على أنه كان طليعة للاستعمار الغربي بجدارة.

(٢) نفسه ص ٥٥٧/ ,٥٥٨

(٣) د. حسين مؤنس (الشرق الأوسط في العصر الحديث) ص ٨٥ ط مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

على رأس قوة زاحفة جرّارة قوامها ٣٦ ألف مقاتل، نقلتهم عمارة بحرية عددها ثلاثمائة سفينة يحرسها أسطول حربي مؤلف من ٥٥ سفينة حربية، وقبل أن يمر أربعة عشر شهراً على وصوله الإسكندرية إذا بهذا القائد وبعض أصفيائه يتسللون لواذاً في ظلمة الليل من بقعة مهجورة في رمل الإسكندرية، ويتخذون طريقهم في البحر سرياً خشية وقوعهم أسرى. يا لها من سخرية الأقدار!!(١).

وترى أرمسترونج في عرضها لنهاية الغزوة الفرنسية أن المبالغة في القول بأن الحضارة الحديثة دخلت مصر أثناء الاحتلال الفرنسي بجهود العلماء الذين رافقوها، ولكن الصحيح: (أن أعظم ما حققوه هو تقديم مصر للغرب، أكثر من تقديم حضارة الغرب لمصر أو التأثير في المصريين)(٢).

القضية الثانية: كانت الحياة العلمية والاجتماعية والزراعية وافرة النشاط لما كان صوّرها البعض بصورة مخالفة! هذا، وقد عني الدكتور أحمد زكريا الشلق بإبراز الدراسات التاريخية الحديثة المستندة على الوثائق والحجج التركية والعربية الخاصة بالعصر، ويتضح منها نشاط المجتمع الزراعي، وأن ترحيل أهل الحرف والصناعات أيام السلطان سليم لم يؤثر على القطاع الحرفي لمدة طويلة؛ إذ أمر بالعودة إلى بلادهم، وأثبتت وثائق المحكمة الشرعية ازدهار الحركة التجارية ونمو الحياة الاقتصادية(٣).

وفي المجال الثقافي والعلمي شهدت هذه الفترة إنتاجًا وفيراً من الكتب والمصنفات واتساعًا للموضوعات والمجالات التي تناولتها، وربما يفوق هذا الإنتاج في فترة محمد علي، وبرزت كتابات مهمة في علم الحديث وعلوم أخرى مساعدة كعلوم اللغة والأدب والتاريخ ونحوها، كما ازدهرت حركة تأليف المعاجم والحوليات التي كان

---

(١) د. عبد العزيز محمد الشناوي (عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية) ص ٦٢ سلسلة (أعلام العرب) ط دار الكتاب العربي -مصر العدد (٦٧) يوليو ١٩٦٧م.

(٢) أرمسترونج (القدس.. مدينة واحدة) ص ١٨٠

(٣) د. أحمد زكريا الشلق-( الحداثة والإمبريالية- الغزو الفرنسي وإشكالية نهضة مصر)، ص ٢١/ ٢٤ ط دار الشروق، مكتبة الأسرة ٢٠٠٨م. مكتبة الأسرة ٢٠٠٨م.

يكتبها عسكريون عثمانيون. وتكشف كتابات مرتضى الزبيدي (١٧٢٣-١٧٩٠م) الذي كان عالمًا باللغة والحديث والأنساب عن وعي نقدي واضح، كما تبرز أصول النظرة العلمية التي تمّت في القرن التاسع عشر، وقد صور الجبرتي لحظة وصوله إلى مصر عام ١٧٥٤ باعتبارها من اللحظات العظيمة في الحياة الفكرية في القرن الثامن عشر، وإلى جانب دوره التعليمي، اشتهر بأبحاثه ودراساته في الحديث، وتحول من روايته إلى تحليله ليكشف عن سعة اطلاع وعن طريقة متميزة في التعليم أثارت الإعجاب، حتى لقد كانت النساء تحضرن دروسه العلمية التي كان يلقيها في منزل أحد الأعيان كل مساء[١]، ويُستشف من كتابات الزبيدي وحسن العطار وغيرهما ودراسة قوائم المخطوطات الممتازة بالجامع الأزهر، أنها تشكل مصدرًا رئيسًا لإثبات صورة «الصحوة الثقافية»، وفي الدراسة المهمة لبيتر جران عن الجذور الإسلامية للرأسمالية في مصر بين عامي ١٧٦٠ و١٨٤٠ أثبتت أن مصر كانت خلال القرن الثامن عشر تتمتع بثقافة حية، ودليله أيضًا أن تأليف مرتضى الزبيدي لمعجمه الموسوعي (تاج العروس) يثبت أن ثمّة إبداعًا أساسيًا مهمًا حدث في أواخر القرن الثامن عشر، وأن تكوين هذا المعجم ينمُّ عن عقل مصري يعمل ويمارس وظيفة في مجال واسع من العلاقات العلمية، وأن هذا العمل الموسوعي يمثل دائرة معارف لا تضارعها دائرة المعارف الفرنسية التي أنتجتها شخصيات عظيمة[٢].

وفيما يتعلق بالعلوم العقلية، كالرياضيات والطب والكيمياء والفلك، برز فيها علماء متخصصون حازوا شهرة كبيرة، ولعل أبرزهم الشيخ حسن الجبرتي - والد المؤرخ الكبير - ورضوان أفندي الفلكي، والشيوخ أحمد الدمنهوري وأحمد السجاعي ومصطفى الخياط والشيخ الشنواني، والفلكي الشهير عثمان الورداني فضلًا عن المؤرخ الكبير عبد الرحمن الجبرتي الذي كان من المشتغلين بالعلوم الفلكية والرياضية والطبية، وإن فاقت شهرته كمؤرخ شهرته في هذه العلوم[٣].

---

(١) نفسه ص ٣٠.

(٢) نفسه ص ٢٦.

(٣) نفسه ص ٢٩.

وفيما يتعلق بوضع المرأة المصرية خلال العصر العثماني؛ فقد أثبتت الدراسات الحديثة، كدراسة ناصر عثمان عن الحركة العلمية في مصر في القرن السابع عشر أن المرأة المصرية في هذا العصر بلغت منزلة كبيرة في تحصيل العلوم وتولي المناصب العلمية المهمة، كالسيدة نفيسة بنت الشيخ أبو الحسن البكري والتي أخذ بعض العلماء عنها، وكذلك بنت العالم الطبيب شهاب الدين رئيس أطباء زمانه، والتي شهد المؤرخون أنها من فرط علمها بالطب صارت رئيساً لأكبر مستشفيات مصر آنذاك وهي البيمارستان المنصوري[1].

والحقيقة أن العلماء لم يفرضوا قيوداً على تعليم المرأة خلال هذا العصر، بل على العكس طالب بعضهم بتعليم المرأة، ليس في مجال العلوم الدينية فحسب، بل في مجال العقلية، وأفتى الشيخ عمر الدفري الحنفي (توفي ١٦٦٨) بأن على الأطباء الرجال تعليم النساء تخصص ما يطلق عليه (طب النساء).

وكانت النساء تدير الأوقاف كما يديرها الرجال، كما كنَّ ينتخبن لرئاسة بعض طوائف الحرف والصناعات كالتمشيط والنقش، يضاف إلى ذلك إدارتهن للمؤسسات الاجتماعية أو الخيرية، بل أشارت بعض المصادر إلى أن اللائي قطعن شوطاً بارزاً في العلم كان تلاميذهن من الرجال، وأثبتت الدراسات الحديثة أيضاً أن المرأة كانت تتمتع في العصر العثماني بقدر كبير من الحرية، أكبر مما تتمتع به في العصر الحديث، بل توصلت إلى حقيقة ذات مغزى مؤداها عدم وجود حالة واحدة سابقة للقرن التاسع عشر رفض فيها القاضي إعطاء المرأة حق الانفصال عن زوجها إما بالطلاق أو بالخلع[2].

تلك إذن هي خلاصة دراسة الدكتور زكريا الشلق الذي عرضها بإجمال. ولكن الشيخ محمود شاكر عُني باستقصاء الوثائق، وكشف خبايا عديدة، وتصحيح مغزى أحداث بالغة الأهمية في تاريخ مصر الحديث، وذلك كله بكتابه: **(رسالة في الطريق إلى ثقافتنا)**، وهو كتاب حافل بالوثائق والمعلومات التي كانت خافية عنا تماماً. بل نرى

(١) نفسه ص ٣٢ .

(٢) نفسه ص ٣٣٠ .

أنه لا غنى عنه لأي باحث في تاريخنا الحديث؛ لأداء أمانة الكشف عن الحقائق وتصحيح التزييف الذي يتبنّاه المستغربون!!

وما دمنا نتحدث عن تزوير التاريخ فلا يسعنا في هذا الحيّز من المقال إلا اقتطاف بعض فقرات من كتابه لها دلالات خاصة؛ لأن الشيخ محمود شاكر ظل طوال نحو مدة أربعين سنة منشغلًا بالبحث عن علل فساد حياتنا الأدبية اليوم!![1]

**ورغبة في الإيجاز سأعرض فقط فيما يلي للفقرات التالية:**

- **أولاً:** دخل الإفرنج مدينة القاهرة كالسيل، ومروا في الأزقة والشوارع، كأنهم الشياطين أو جُند إبليس وهدّموا ما وجدوه من المتاريس، ثم دخلوا إلى (الجامع الأزهر) وهم راكبون الخيول، وربط خيولهم بقبلته، وعاثوا بالأروقة والحارات، وكسروا القناديل والسهارات، وهشّموا خزائن الطلبة، ونهبوا ما وجدوه من المتاع بالدواليب والخزانات، ودشتوا الكتب والمصاحف وعلى الأرض طرحوها، وبأرجلهم وبغالهم داسوها، وأحدثوا فيه وتغوطوا، وشربوا الشراب وكسروا أوانيه، وكل من صادفوه عرّوه، ومن ثيابه أخرجوه!![2]، وكان السفاح الصليبي المغرور نابليون حسب وصف الشيخ شاكر، قد أمر بأن يُقتل في القاهرة وجدها كلّ يوم خمسة أو ستة، ويأمر أن يُطاف برؤوسهم في شوارع القاهرة ويقول: (هذه هي الطريقة الوحيدة لإخضاع هؤلاء الناس)، في قصة طويلة فظيعة ليس لها شبيه، هي أفظع من بلايا (جنكيز خان)!![3].

- **ثانيًا:** أن (عصر النهضة) عندنا واقع بين منتصف القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الثاني عشر، ويقابله منتصف القرن السابع عشر الميلادي إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وبداية هذه النهضة قامت على أكتاف خمسة علما كانوا رجالاً عظامًا مفرّقين في جنبات أرض مترامية الأطراف، ويجمعهم الإحسا

---

(١) محمود شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ص ٣٤ مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢ ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢) نفسه ص ٩٠/ ٩١. وتارة أخرى يصفه بالفتى الصليبي المحترق.

(٣) نفسه ص ١٠٠.

بالخطر، فراموا إصلاح الخلل الواقع في حياة دار الإسلام: خلل «اللغة» و«خلل العقيدة» و«خلل علوم الدين» و«خلل علوم الحضارة». وبأناة وصبر عملوا وألّفوا وعلّموا تلاميذهم، وبهمة وجدّ أرادوا أن يدخلوا الأمة في «عصر النهضة»، نهضة دار الإسلام، من النوم والجهالة والغفلة عن إرث أسلافهم العظام. من هؤلاء خمسة من الأعلام وهم:

١- «البغدادي» -عبد القاهر عمر صاحب (خزانة الأدب) في مصر.

٢- «الجبرتي الكبير»، حسن بن ابراهيم، في مصر، وهو والد الجبرتي الصغير مؤرّخ الحملة.

٣- «ابن عبد الوهاب»، محمد التميمي النجدي، في جزيرة العرب.

٤- «المرتضى الزبيدي»، محمد عبد الرزاق الحسيني، صاحب (تاج العروس) في الهند، وفي مصر.

٥-«الشوكاني»، محمد بن علي الزيّدي، في اليمن[1].

- **ثالثًا: دور الاستشراق في الغزو الاستعماري الفرنسي ووأد اليقظة:**

بذل الشيخ شاكر جهداً كبيراً في البحث عن دور الاستشراق في هذا الغزو الاستعماري، ويبدأ بالتأريخ للاستشراق في أوروبا منذ سقوط القسطنطينية في حوزة الإسلام الذي أحدث فجيعة في قلوبهم، فوهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر، فحبسوا أنفسهم بين الجدران المختفية وراء أكداس من الكتب، مكتوبة بلسان غير لسان أممهم التي ينتمون إليها، ثم كان من أكبر أهدافهم هو اختراق دار الإسلام ثم تمزيقها من قلبها، ثم الظفر بالكنوز الغالية، وسرق «المستشرقون» المصاحبون للحملة الفرنسية النفيس من الكتب، وكانت القاهرة يومئذ أغنى بلاد العالم بالكتب، ودليل السرقة قائم بين أعيننا ليصبح شاهداً بالسطو على ذخائرنا، ودليل السرقة قائم في جميع مكتبات أوروبا، صغيرها وكبيرها، في فرنسا وإنجلترا وهولند، وروسيا وغيرها من

(١) نفسه باختصار ص ٨١/ ٨٢.

البلدان، وفي الأديرة والكنائس وكان همهم الأكبر يومئذ هو السطو على «علوم الحضارة» ثم على كتب التاريخ، ثم على كتب «الآداب» كلها بلا تمييز(١).

وشمل السطو كتب المساجد والمدارس وبيوت العلماء والأمراء والمماليك المصرية، وقد قص الجبرتي الصغير، المؤرخ، شروط الجلاء عن القاهرة ومنها، أن الفرنسيين (يستصحبون معهم ما يحتاجونه من أوراقهم وكتبهم التي شرخوها من مصر)(٢).

وعن «علوم الحضارة» بصفة خاصة، كانت الغاية الأولى للمستشرقين هي: تجريد دار الإسلام في القاهرة من أسباب «اليقظة» التي جاءت الحملة الفرنسية لوأدها في مهدها والقضاء عليها قبل أن تتفاقم، والتي قام بحمل عبء البدء بها الجبرتي الكبير وتلامذته، والبغدادي والزبيدي وتلامذتهما، ويذكر الشيخ شاكر أن عمليات التدمير الشنيع وسفح الدماء وقمع الثورات بفجور وشراسة، هي التي أدّت إلى تشتيت شمل تلامذة «الجبرتي» و«البغداي» و«الزبيدي» وتفرقهم في الأرض، وضياعهم في الهرج والمرج، ويستطرد قائلاً: (بل أنا لا أستبعد عن هؤلاء السفاحين العُتاة أن يكون دهاة الاستشراق على علم بأعيانهم وأسمائهم، فقد كان المستشرقون يترددون على البيت العامر بالصنادية ليقرأوا على صاحبه «الجبرتي الكبير»)(٣).

وكانت أسماء هؤلاء الخمسة قد دوّت في أرجاء دار الإسلام، وأشتات غيرهم، **مؤذنة بيقظة جديدة، وإحياء لعلم الأمة ولغتها وثقافتها، واستعادة لسيطرة الأمة على أسباب حضارتها الزاهرة القديمة، وإرادة لبعثها بعثًا جديدًا،** (٤).

وخص بالذكر «الجبرتي الكبير» الذي ملك ناصية علوم الهندسة والكيمياء والفلك والصنائع الحضارية كلها، حتى التجارة والخراطة والحدادة والسمكرة والتجليد والنقش

(١) نفسه ص ٩٧.

(٢) ويعلق الشيخ شاكر بسخرية فيقول: (والصحيح التي سرقوها من مصر!) كذلك صح تزييف تاريخ المماليك، فقال: (قضى نابليون بحملته الصليبية التي غزت مصر على أكبر قوة مقاتلة في دار الإسلام بعد قوة الخلافة.. قضى عليهم وشتتهم ومزقهم كل ممزق!) ص ٩٣.

(٣) نفسه ص ٩٩ -وسبق ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب أيضًا في الجزيرة العربية.

(٤) نفسه ص ٨٤.

والموازين، وصار بيته زاخراً بكل أداة صناعة وكل آلة، وصار إماماً أيضاً في أكثر الصناعات، (وحضر إليه طلاب من الإفرنج وقرأوا عليه علم الهندسة، وذهبوا إلى بلادهم ونشروا بها العلم منذ ذلك الوقت وأخرجوه من القوة إلى الفعل).

ولم يفت الشيخ شاكر إبداء سخريته مما يذيعه المستغربون عن الحملة الفرنسية حيث يعلّلوها بأنها أتت عبر البحار والبراري والقفار لإخراج أمتنا من الظلمات إلى النور، ولنبدأ «عصر النهضة الحديثة»، هكذا ينبغي أن نقول لأبنائنا في المدارس والجامعات (ألم أقل لك آنفًا إنها قصة مليئة بالمضحكات والمبكيات، والحسرات والآهات؟)[1].

كذلك لم يفته أيضًا تحميل نظام تعليم «دنلوب» المبشّر المسئولية مع مئات من مدارس الجاليات التي تضم أبناء المصريين وبناتهم، ولم يزل الأمر إلى يومنا هذا مستمراً على ما أراده الغزاة! بل زاد بشاعة وعمقًا في سائر أنحاء العالم العربي والإسلامي!![2].

(١) نفسه ص ٩١ .

(٢) نفسه ص ١٥٣ ووصفه لدنلوب بأنه مبشّر له مغزى، وهو الذي قام في نظام التعليم بـ «تفريغ» طلبة المدارس من ماضيهم الإسلامي وبعث الانتماء إلى «الفرعونية»!!

# الملحق رقم [١]

مختصر كتاب:

## الدفاع عن القرآن ضد منتقديه

تأليف:

## دكتور عبد الرحمن بدوي

اختصار وتقديم:

## الأستاذ علي سعد علي إبراهيم

(وكان في الأصل بحثا مقدما للسنة التمهيدية للماجستير

-بقسم الفلسفة الإسلامية -كلية دار العلوم)

عام ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م

# ملحق الكتاب

جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم الفلسفة الإسلامية

بحث لمختصر كتاب:

## الدفاع عن القرآن ضد منتقديه
## للأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي

(عرض وتحليل)

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

مصطفى حلمي

إعداد الطالب:

علي سعد علي إبراهيم

(تمهيدي ماجستير)

## مقدمة

إن الحمد لله، أحمده سبحانه وأستعينه وأستهديه وأستغفره وأصلي وأسلم على الرسول الخاتم للإسلام، والزعيم الجامع للمسلمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ. . .

فإن الهجوم على الدين الإسلامي نشأ مع ظهور هذا الدين وقصد في المقام الأول أصوله، فهوجم النبي ﷺ وكُذِّب وأُوذي وحورب وهُوجم القرآن، وزعم المشركون أنه أساطير الأولين، وقد أخبر الله تعالى عن هذه الحرب الفكرية في كتابه، حرب بغير سلاح الحديد والنار وإنما بسلاح الفكر والكلمة، فقال تعالى: ﴿يريدُونَ أَن يُطْفئوا نُورَ اللَّه بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[التوبة٣٢]، فهي إذن حرب بالأفواه أي بالكلمة والفكر. ولكن الله تكفل بإتمام نوره ونصر نبيه، فقيَّد الله منذ العهد النبوي رجالاً يدافعون عن أصول الدين بالفكر أيضًا، الحجة بالحجة والكلمة بالكلمة، وكان من أبرزهم شعراء الرسول ﷺ، كحسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، الذين كالوا للكفار القول بالقول حتى مدح النبي ﷺ حسان بن ثابت وجعل له منبرًا في المسجد ينشد عليه الشعر للدفاع عن الإسلام، ثم جاء العلماء في كل عصر يدافعون عن أصول الدين قرآنًا ونبوة وسنة ضد شبهات المعاندين، وقد استمرت حملات العداء حتى عصرنا هذا، فرأينا من ينكر السنة ومن ينكر شفاعة النبي ﷺ.

هذا إلى جانب المستشرقين الذين يسددون سهامهم المسمومة إلى الغرب الغارق في المادية، وإلى الشرق عن طريق أبواقهم وأتباعهم.

ومن بين الكتب التي تولت الدفاع عن القرآن ضد منتقديه كتاب الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي «الدفاع عن القرآن ضد منتقديه» وهو كتاب قيم، لأنه يجمع عددًا كبيرًا من شُبه المستشرقين حول القرآن الكريم، ومن ثم نبوة النبي عليه السلام، فيفنّدها واحدة تلو الأخرى، وقد عرضت لهذا الكتاب بالبحث.

وقد جاء البحث مكونًا من تمهيد وثلاثة فصول ثم خاتمة.

- التمهيد: وعرضت فيه لاهتمام المسلمين بالقرآن الكريم.
- الفصل الأول: المؤلف وكتابه ويشمل:
  - المبحث الأول التعريف بالمؤلف.
  - المبحث الثاني: مع الكتاب.
  - عنوان الكتاب
  - موضوع الكتاب.
  - هدف الكتاب ومنهج المؤلف فيه.
- الفصل الثاني: عرض وتحليل الكتاب.
- الفصل الثالث: التشابه الكاذب بين القرآن والإنجيل.
- الخاتمة: وعرضت فيها لأهم ما جاء في البحث، ثم عرضت لبعض

النتائج التي ظهرت أثناء البحث، ثم عرضت بعد ذلك للمراجع التي أفدت منها، وأتبعت ذلك بفهرس للموضوعات، والله ولي التوفيق.

## تمهيد

### اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم:

لقد منَّ الله عز وجل على هذه الأمة المحمدية ببعث النبي ﷺ فيهم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وأنزل عليه معجزته الخالدة: القرآن الكريم، الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين. «ومن أهم جوانب إعجاز هذا الكتاب:

١- إعجازه بنظمه وأسلوبه.

٢- إعجازه ببلاغته.

٣- إعجازه في إخباره بالغيب.

٤- إعجازه بسلامته من الاختلاف،

٥- إعجازه بما أحدث من تغيير اجتماعي[(١)].

هذا إلى جانب الإعجاز العلمي الذي يتحدى العالم أجمع بحقائقه، ويبرهن العلم كل يوم على صدق رسول الإسلام وعلى صدق كتابه الذي جاء به من عند الله. ولعظم مكانة القرآن اهتم المسلمون به عبر العصور؛ «فكان موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته، ومن سلف الأمة وخلفها، وأدى اعتصامهم به وتمسكهم بهديه أن أمسكوا الدنيا من قرنيها، وركعت صاغرة تحت أقدامهم، وكانوا رحمة للعالمين وقادة للبشرية وهداة للناس فيما حزبهم من أمر أو أشكل عليهم من شيء»[(٢)].

وقد اتخذت عناية المسلمين بالقرآن أشكالاً مختلفة، فاهتم المسلمون بتفسيره، وبيان إعجازه ورسمه وأحكامه، وكان من بين عنايتهم به دفاعهم عنه ضد شبهات غير المسلمين.

---

(١) راجع رد مزاعم المبطلين عن أصول الدين ص ٨٩.

(٢) بحوث في تفسير القرآن الكريم ص ١٠.

# الفصل الأول

# المؤلف وكتابه

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف.

المبحث الثاني: مع الكـــــتاب.

## المبحث الأول:

## التعريف بالمؤلف

**• أولاً: المؤلف:**

هو الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي، يعد هو وعدد من أبناء جيله الأعمدة الرئيسة لنهوض الفلسفة في الجامعات المصرية؛ فقد كان هو وعدد من زملائه أمثال أبو العلا عفيفي، وعبد الله دراز، ومحمود قاسم، ومحمد كمال إبراهيم جعفر، وغيرهم تلاميذ للشيخ مصطفى عبد الرازق، وقد أتاح ذلك لهم أن يسيروا على دربه في إحياء الفلسفة الإسلامية، وقد كانت للمؤلف ثقافة واسعة ومجهودات في مجالات متعددة ألقت الضوء على التأثيرات الإغريقية.

**• ثانياً: مؤلفاته:**

**أ - في مجال الدراسات الإسلامية:**

١- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية.

٢- أرسطو عند العرب.

٣- الإنسانية والوجودية في الفكر العربي.

٤- المثل العقلية الأفلاطونية.

٥- شخصيات قلقة في الإسلام.

٦-منطق أرسطو.

٧- ابن سينا: البرهان (من الشفا).

٨- شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية.

٩-شطحات الصوفية.

١٠- روح الحضارة العربية.

١١- الإنسان الكامل في الإسلام.

١٢- مؤلفات الغزالي.

١٣- ابن سينا عيون الحكمة.

١٤- مخطوطات أرسطو في العربية.

١٥- مؤلفات ابن خلدون.

١٦- رسائل ابن سبعين.

١٧- مسكويه: الحكمة الخالدة.

١٨- أفلوطين العرب.

١٩- الإشارات الإلهية للتوحيدي.

٢٠- أرسطوطاليس الخطابة.

٢١- في النفس لأرسطوطاليس مع الآراء الطبيعية لفلوطرخس.

٢٢- السماء والعالم والآثار العلوية لأرسطو.

٢٣- الشعر الأرسطوطاليسي.

٢٤- حازم القرطاجني ونظريات في الشعر والبلاغة.

ب- خلاصة الفكر الأوروبي:

١- نيتشه.

٢- أرسطو.

٣- اشبنجار.

٤- ربيع الفكر اليوناني.

٥- شوبنهور.

٦- خريف الفكر اليوناني.

٧- أفلاطون.

٨- دراسات أوروبية.

٩- الموت والعبقرية.

١٠- دراسات في الفلسفة الوجودية.

١١- فلسفة العصور الوسطى.

## المبحث الثاني:

## مع الكـــتاب

### عنوان الكتاب:

يشتمل عنوان الكتاب على عنصرين هما :

١ - الدفاع .

٢ - النقد .

وباستطلاع الكتاب سنجد أن العنوان يتفق مع مضمون الكتاب، فالمؤلف يدافع عن القرآن ضد منتقديه من المستشرقين وإن كانت كلمة نقد تضفي على المستشرقين الذين تعرضوا لنقد القرآن الكريم صفة الأمانة العلمية والرغبة في الوصول إلى الحق والموضوعية، ولكن هذا من خلال تصفح الكتاب سنجده مفقوداً فيما عدا المستشرق إدريان ربلاند صاحب كتاب «الديانة المحمدية» .

### موضوع الكتاب:

موضوع الكتاب هو الدفاع عن القرآن الكريم، وهو موضوع مطروق منذ بداية الوحي، وأول من تولى مهمة الدفاع عن القرآن هو الحق سبحانه وتعالى؛ حيث زعم المشركون أن القرآن مختلق من قبل النبي ﷺ؛ ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [الفرقان: ٥-٦] .

ولا زال الدفاع عن القرآن موجوداً في الأمة متمثلاً في التأويل وتفسير مشكله وبيان أحكامه ورد شبه المغرضين، وهذا كله من باب حفظ الله له ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

وقد تميز كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوي بأنه يرد على مزاعم عدد من المستشرقين، وهي مزاعم تدور كلها حول القرآن الكريم بالتحديد، ولعل هذه الردود على المستشرقين، والاستفاضة فيها ترجع إلى ثقافة مؤلفنا، فهو صاحب مجهودات «في مجالات متعددة ألقت الضوء على التأثيرات الإغريقية والأفلاطونية المحدثة في الفلسفة الإسلامية، كما نشر عدداً من النصوص العربية الأصلية، وترجم كثيراً من الفلسفة الغربية. فقدم إضافة قيمة إلى الفلسفة الإسلامية ذاتها»(١).

**الهدف والمنهج:**

حدد المؤلف في المقدمة هدف الدراسة، وهو الرد على المستشرقين الذين خالفوا المنهج العلمي وهاجموا القرآن، يقول د. بدوي: «يحدونا في هذا الموضوع هدف واحد؛ ألا وهو فضح بعض أشباه العلماء الذين خدعوا الكثيرين في أوروبا وغيرها»(٢).

كما حدّد المؤلف الإطار الزمني الذي ستتم فيه الدراسة، وهو الفترة ما بين منتصف القرن التاسع الميلادي إلى منتصف القرن العشرين.

والمؤلف يقصد في كتابه: معالجة أهم القضايا التي أثارها المستشرقون وليست كلها.

كما حدد الدكتور عبد الرحمن بدوي منهج علم اللغة مع توخي الموضوعية منهجاً للدراسة.

(١) الفلسفة الإسلامية: مدخل وقضايا ص ٥٧.

(٢) الدفاع عن القرآن ضد منتقديه ص ٩.

## الفصل الثاني

# عرض وتحليل الكتاب

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة تناول فيها تاريخ الهجوم على القرآن باعتباره الأساس الجوهري للإسلام، وقد بدأ الهجوم على القرآن منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري، واستمر حتى القرن السابع عشر؛ حيث ظهرت أول دراسة مفصلة ضد القرآن قام بها لودفيكو مرعشي (١٦١٢-١٧٠٠)، وحمل الكتاب عنوان Alcorani universus، وكان عمل مرعشي نقطة انطلاق للدراسات التي قام بها الغربيون خلال القرنين التاليين، ويلاحظ المؤلف أن كل هذه الأعمال قد شابها النقص والافتقار إلى الدقة العلمية.

وقد حدد الكاتب غرضه من الكتاب ومنهجه في دراسة موضوعه، وقد سبق الإشارة إلى ذلك. وقد جاء الكتاب في ثلاثة عشر فصلاً، وهي على الترتيب:

١- ما هو مفهوم لفظ أمي المتعلق بالنبي محمد ﷺ؟

٢- التشابه الكاذب بين القرآن والإنجيل.

٣- معنى كلمة فرقان.

٤- مزاعم مرجليوت الغريبة.

٥- جولد تسيهر وتشابهاته الخاطئة بين الإسلام واليهودية.

٦- الصابئون في القرآن.

٧- الرسل في القرآن: نقد لابتكار فينسنك.

٨- قراءة لتصور يوناني خيالي للقرآن.

٩- البسملة: هل أصلها إنجيلي؟

١٠- فشل أي محاولة لترتيب القرآن ترتيبًا زمنيًا.

١١ - مشكلة الألفاظ غير العربية في القرآن.

١٢ - حول العبارة القرآنية (يا أخت هارون).

١٣ - مشكلة هامان.

وسوف نعرض لهذه الفصول فيما يلي بإيجاز فيما عدا الفصل الثاني فسيفرد بحديث مستقل في الفصل الثالث من هذا البحث.

## الفصل الأول

### ما هو مفهوم لفظ أمي المتعلق بالنبي محمد؟

يتناول المؤلف في هذا الفصل الإجابة عن السؤال المطروح وهو: ما هو مفهوم لفظ أمي؟ فيحدد له حالتين لإطلاقه، أولاً: هو وصف النبي ﷺ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]. ثانيًا: وصف الأمم ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ﴾ [الجمعة: ٣]. ثم يتناول المعنيين بالتفصيل، فالأول يعني الذي لا يكتب ولا يقرأ وهو مشتق من أمه «بمعنى أمة الكتاب من حيث إن هذه الأمة كانت في مجملها أمية»[1]. والأمي هو الذي خُلق على خليقة الأم، أي على الفطرة كما خلقته أمه لم يتعلم الكتابة لأنها مكتسبة، وعلى هذا فأمي يأتي من أم.

إذًا الأمي مصدرها أمة، أو مصدرها أم. والمؤلف يرى أن صفة الأمي من الأمة ليس بالضرورة أن تعني لا يكتب؛ ولذلك فإن الصياغة الأولى أولى في الدلالة على عدم القراءة والكتابة.

ثم يعرض لآراء المستشرقين حول معنى أمي وأميين وبالتحديد المستشرق سبرنجر الذي ألف كتابًا بعنوان حياة وعقيدة محمد، وهو يقرر فيه أن الأميين أي الوثنيين، وأن الأمي هو الرجل الذي يستطيع فعلاً القراءة دون الكتابة.

ويعتمد أصحاب هذا الرأي على فهم خاطئ للآيتين ٧٨، ٧٩ من سورة البقرة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ﴾، يقول ابن إسحاق كلمة (أماني) التي وردت عدة مرات في القرآن تعني قراءة[2].

---

(١) المصدر السابق ص ١٦.

(٢) المصدر السابق ص ١٦.

ثم يتوقف المؤلف لرد ادعاءات سبرنجر فيرى أنه :

١- لا يستند على دليل يؤكد الفرق بين أهل الكتاب والأميين .

٢- القول بأن أمي تحمل معنى وثني ادعاء بلا دليل .

٣- الرأي الذي يفسر أمي بمعنى الذي لا يعرف الكتابة لكنه يجيد القراءة يعود للإمام الشيعي جعفر الصادق .

ثم يعرض المؤلف للمستشرق فينسنك ، وهورفيتز ، وقد أكد فينسنك أن أمي تطلق على صاحبها من غير أهل كتاب ، وأضاف أنها مشتقة من أمة بمعنى شعب وثني ؛ فهي تطابق الكلمة العبرية جوا .

ويرد الدكتور عبد الرحمن بدوي بأن لفظ جوين التي تعني أمم لم يكن منتشراً ومحدداً لدى اليهود بالدرجة التي تجعله معروفًا في الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ ولهذا فطرح فينسنك غير دقيق وخاطئ .

أما المستشرق هورفيتز ؛ فقد جعل كلمة أمي مرادفة للعبارة العبرانية : أمة هاعو لام؛ أي : شعوب العالم التي تقابل شعب إسرائيل . وعلى هذا فالكلمة عنده بها شيء من الاحتقار ؛ لأن شعوب العالم أقل من إسرائيل ، ولا يمكن أن يصف النبي نفسه بهذا اللفظ إن حمل معنى التقليل والتحذير وهذا ما جعل المستشرق فرانز بهيل يقول : «من الغريب أن يكون محمد قد استعار من اليهود لفظ يحمل على ألسنتهم معاني الاحتقار» ، ويرى أن محمداً -عليه السلام- كان يقرأ ويكتب ولكنه لم يقرأ كتب اليهود والنصارى ، إلا أنه يرجع ويؤكد أن أمي مشتقة من أمة ، أي شعب علماني . فكيف يرسل نبي ويأتي ليضع أسس ديانة ويصف نفسه بهذا المعنى .

المستشرق نللينو : يرى أن أمي مشتقة من أمة عربية ، لكنه أضفى على لفظ أ صبغة عرقية أو قومية ، وعلى هذا يرفض رأيه ، فهو يرى أن النبي ﷺ أرسل إلى العرب فقط . وهذا مردود عليه ببعث الرسول ﷺ خطابات إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ،

كما أن القرآن يؤكد أن النبي ﷺ أرسل إلى كل الإنسانية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

ثم يعرض المؤلف لتفسيره هو للفظ أمي التي تطلق على النبي ﷺ، فيعتقد أن صفة الأمي نعت مكوّن من الجمع أم «طبقًا لهذا إذًا نقول إن كلمة أمي مشتقة من كلمة أم، وهي جمع أمة ومعناها عالمي صالح أو موجه إلى كل الأمم»[١]. أما أميون فمعناها شعوب مختلفة الأمم.

ثم أخذ على أساس هذا في تفسير الآيات التي ورد فيها لفظ أميون.

«إن كلمة مشتقة من كلمة أم وهي جمع أمة ومعناها عالمي صالح أو موجه إلى كل الأمم»[٢]. أما أميون فمعناها شعوب مختلفة الأمم.

ثم أخذ على أساس هذا في تفسير الآيات التي ورد فيها لفظ أميون.

## الفصل الثالث

## معنى كلمة فرقان

حاول عدد من المستشرقين رد كلمة فرقان إلى أصول يهودية ومسيحية، ومن هؤلاء:

١- جيجر (ماذا أخذ محمد ﷺ من اليهودية).

٢- هيرشفيلد في كتابه (بحوث جديدة في القرآن).

٣- هورفيتز في (بحوث قرآنية).

وهؤلاء الثلاثة يهود، وكلمة فرقان عندهم عبرانية تم تعريبها وأصلها بركي Pirke.

وعلى الجانب المسيحي نجد عددًا كبيرًا من المستشرقين المسيحيين حللوا كلمة فرقان، منهم:

(١) الدفاع عن القرآن ص ٣١.

(٢) الدفاع عن القرآن ص ٢١.

١- نولدكه في (إسهامات جديدة في العلوم اللغوية السامية).

٢- ليد سبارسكي، شفالي، فينسنك (دائرة المعارف الإسلامية).

٣- بيل (أصول الإسلام في بيئته المسيحية، وكذلك مدخل إلى القرآن)، وهذا الفريق يرى أن الكلمة معربة من الكلمة السريانية فرقان Furqan والمراد منها الإنقاذ.

وعلق الدكتور عبد الرحمن بدوي على هذا فيرى «أولاً: أنه من الغباء نسبة كلمة فرقان إلى الكلمة العبرية Pirke التي تعني فصول. ثانيًا: أن الآراء التي ترجع كلمة فرقان إلى الكلمة السريانية بوركانا Purkana أي الإنقاذ، تعد هي الأخرى ضربًا من الغباء[1].

ثم سرد المؤلف معاني الكلمة في المعاجم العربية كما لخصها كازميرسكي:

١- فرقان: مصدر الفعل فرق.

٢- كل ما يدل على التفريق، الفرق بين الخير والشر، ويوم الفرقان يوم التميز.

٣- أي كتاب مقدس.

وطبقًا لهذا الفهم يطبق الدكتو عبد الرحمن معاني الكلمة على الآيات:

فهي تعني في الآيتين؛ ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥٣]، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، التمييز بين الخير والشر، بين الحرل والحرام.

وتعني في الآيتين؛ ﴿ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] القرآن الكريم.

---

(١) السابق ص ٦١.

**ثالثًا:** معنى كلمة الفرقان في الآيتين؛ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١] التمييز بين الخير والشر والحق والباطل في الدين.

## الفصل الرابع

## مزاعم مرجليوث الغريبة

بدأ المؤلف هذا الفصل بالتعريف بهذا المستشرق المسيحي الذي ولد عام ١٨٥٨ ويعود إلى أصول يهودية، وقد كرَّس نفسه من أجل الدراسات اليهودية، ومن مؤلفاته شرح كتاب دانيال، مكانة الإكليرلية في الأدب السامي، الأصل العبري للإكليريوس، العلاقات بين العرب والإسرائيليين قبل ظهور الإسلام.

**أما عن مزاعم هذا المستشرق فمنها:**

- **أولاً:** اشتقاق كلمة مسلم؛ فقال كان يطلق على أتباع مسيلمة الكذاب، ورد عليه المستشرق الإنجليزي شارلز ج ليل ردًا عنيفًا. ويتعجب المؤلف من هذا الخطأ من مرجليوث، فهو يدل على عدم علم بالعربية أو بالثقافة الإسلامية.

- **ثانيًا:** ربط مرجليوث بين كلمة فرقان وكلمة بيركي أبيوت، وقال إن فرقان هي تعريب بيركي التي تطلق على مختارات من الأحكام وضعها حاخامات اليهود، وقد جاء الرد على هذا الزعم في الفصل الثالث كما مر.

- **ثالثًا:** حول إبراهيم: يرى مرجليوث أن اسم إبراهيم لم يكن متداولاً وأن محمدًا هو الذي أدخله، وهذا زعم لا دليل عليه، بل الواقع يشهد أن المسيحيين واليهود عرفوا إبراهيم النبي وعلاقته بقبائل الجزيرة، فكيف إذًا لم يعرفوا بوجود هذا الاسم؟

- **رابعًا:** صلاة المسلمين أثناء الحرب وتاريخ إقرار الفاتحة: ربط مرجليوث بين الصلاة وبين الحرب؛ فهو يرى أنها عمل عسكري، والفاتحة نزلت بعد الهجرة؛ لأن القتال فُرض بعد الهجرة.

وهذا -كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي- زعمٌ باطلٌ لا دليل عليه كما بيَّن فساده غيرُه من المستشرقين.

- خامسًا: الصيام وتحريم الخمور: يرى مرجليوث أن الصيام تدريب عسكري، ويرد المؤلف بأنه إن كان كذلك فلمَ فُرض على النساء وصغار السن وغير المحاربين.

ويقول مرجليوث في تحريم الخمر: «يبدو أن القول بالتحريم مرتبط بالانضباط العسكري»(١).

ويرى بلجران أن التحريم شُرع ضد المسيحية، لكنَّ الرأيين خاطئان؛ لأنهما لم يأخذا التطور التدريجي في تحريم الخمر؛ حيث لم يتضمن الانضباط العسكري ولا معارضة للمسيحية في نصوصنا.

- سادسًا: التحريم الخاص بالأكل: يرى مرجليوث أن أخذ ما أقره مجمع القدس من المحرمات وأضاف لحم الخنزير. وهذا زعم باطل؛ لأن قائمة اللحوم المحرمة في القرآن أطول بكثير مما حُرم في المجمع القدسي في أعمال الرسل (الإصحاح ١٥ آية ٢٠)؛ حيث اقتصر المجمع على تحريم المخنوق والدم والزنى ونجاسات الأصنام.

## الفصل الخامس

## إجناس جولد تسيهر والقياس الخاطئ بين الإسلام واليهودية

رد المؤلف في هذا الفصل على مزاعم جولد تسيهر وتشابهاته الخاطئة بين الإسلام واليهودية؛ حيث نشر في موسوعة اليهودية مقالاً حول الأصول اليهودية لمختلف التصورات والتشريعات الإسلامية. فهو:

- **أولاً**: يرى أن التوحيد الإسلامي يتوافق مع التوحيد في العهد القديم ويرد عليه المؤلف من جانبين: **الأول**: أن إله العهد القديم إله إسرائيل دون غيرها، فتوحيدهم قومي، أما إله المسلمين فهو رب العالمين فتوحيدهم عالمي.

(١) الدفاع عن القرآن ص ٧٠.

- **الثاني**: أن الإله عندهم أبٌ لهم، أما عند المسلمين فهو إلهٌ فردٌ قديمٌ لم يلد ولم يولد.

- **ثانيًا**: ويرى أن محمدًا أخذ الصوم عن اليهود. ويرد المؤلف على هذا الزعم بأن الصوم عند اليهود انحصر في يوم واحد، وهو يوم الغفران الذي أمر به موسى ثم فرض الأحبار صيامًا آخر عليهم. كما أن الصيام عندهم يقتصر على الامتناع عن الأكل والشرب، وعلى هذا فلا علاقة بين الصيام اليهودي وصيام المسلمين؛ لأن صيام المسلمين غير مرتبط بحدث تاريخي أو مأساة لكنه ركن، والصيام اليهودي غير ملزم، كما أن الصوم عُرف كأداء ديني في عدة ديانات، فكيف يدعي جولد تسيهر أن محمدًا أخذ فكرة الصيام في اليهودية.

- **ثالثًا**: القبلة: يقول جولد تسيهر بأن النبي قرر أن تكون القبلة أولاً إلى بيت المقدس لاستمالة اليهود، ولما لم ينجح حولّها إلى الكعبة، وهو رأي غير صحيح، إلا أنه انتشر بين المستشرقين، ويأخذ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي بالرأي القائل إن القبلة كانت قبل الهجرة في القدس؛ لأن الكعبة كانت في مكة قبل الهجرة ما تزال مرتعًا للوثنية، فلم يكن ملائمًا جعلها قبلة للإسلام في ذلك الوقت، كما أن الإسلام كان يصبو إلى هدم ما عليها لدى العرب من رمز للوثنية.

- **رابعًا**: الشريعة الإسلامية والشريعة اليهودية:

يرى جولد تسيهر أن الشريعة اليهودية لها تأثير على الشريعة الإسلامية في الغسل والذبح، لكنَّ الغسل كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي: «كان من الطقوس المقامة في الأزمنة الغابرة لدى الشعوب البدائية، فلماذا نرجع تأثر المسلمين فيه إلى اليهود؟! أما فيما يخص الذبح فيرد المؤلف بأنه لا وجه شبه بين الذبح عند اليهود والذبائح عند المسلمين، فهو عند اليهود معقد؛ لأنه لا بد وأن يقوم بالذبح عندهم أي رجل مؤهل تتوافر فيه شروط خاصة مثل عدم الخيانة وعدم إدمان الخمور وألا يهمل في واجباته ولا يكون فاجرًا، أما عند المسلمين فشرط الذبح ذكر اسم الله ونزع الحلقوم والمرىء؛ فهو بسيط ويقوم به أي مسلم. كما أن الذبح ليس خاصًا باليهود وحدهم.

## الفصل السادس

## الصابئون في القرآن

يتناول المؤلف في هذا الفصل تعريف الصابئة، والرد على المستشرقين الذين يدعون تأثر نبي الإسلام بهؤلاء الصابئة، وقرر المؤلف أن بحث تعريف الصابئة أمر صعب اختلفت فيه آراء المفسرين والمستشرقين، فالبعض يجعلهم طائفة منشقة عن اليهود والبعض يجعلهم عبدة كواكب، وأيًا كانت الصابئة فإن ما يذكر عنهم ليس له صلة بالإسلام ولا يمكن أن يكون قد أثَّر على النبي محمد ﷺ. يقول الدكتور عبد الرحمن: «فليس في معتقداتهم ما يمكن أن يكون قد أثَّر على محمد مثل: عبادة الكواكب، عدم الاعتراف بالنبوة، الثنائية الكوسموجونيا، الطقوس، التعميد»(١).

## الفصل السابع

## الرسل في القرآن: نقد لابتكار فينسنك

تناول المؤلف هنا الرد على فينسنك الذي يقول: «فكرة الرسل كمبشرين كل منهم إلى شعب مختلف ربما وصلت إلى محمد عن طريق قنوات مسيحية؛ حيث إن المسيحية تسعى للانتشار، والفرق يكمن في الحقيقة أن محمداً والمسلمين لم يعرفوا أي شيء عن الرسل الاثنى عشر»(٢).

يتساءل المؤلف: لماذا لم يتسن للنبي الاطلاع على فكرة الرسل إلا من المبشرين المسيحيين؟ ولماذا لا يكونون من اليهود؟ فالفكرة موجودة لديهم، وقد ذُكرت في العهد القديم. والعجيب أن فينسنك يقرر أن محمداً والمسلمين لا يعرفون الرسل الاثنى عشر (الحواريين)، ورغم ذلك يناقض نفسه عندما يتهم النبي والمسلمين بهذا الاتهام. كما أ مفهوم الرسول في الإسلام يختلف عن مفهوم اليهود؛ «فالرسول هو مبعوث ليدعو إلى الله ودينه ويقدم لهم كتابًا معبرًا عن كنه هذه الديانة. أما النبي فمه تنحصر في الدعوة والإصلاح والتنبيه.

(١) الدفاع عن القرآن ضد منتقديه: ص ٩٣.

(٢) الدفاع عن القرآن ضد منتقديه ص ٩٣.

وبناء عليه؛ فإن ما يُطلق عليه بالعبرية الشالوح مبعوث لشخص بعينه، أما الرسول في الإسلام فمبعوث إلى أمة»[1]، كما أن الرسل الاثنى عشر رسل المسيح وليسوا رسل الله، ولم يأت أحدهم بكتاب مقدس. ثم يفسر المؤلف لفظ الحواري وهو القريب من الرسول؛ ولهذا سُمي أصحاب المسيح حواريون وليسوا رسلاً، وكذا أصحاب النبي ﷺ.

## الفصل الثامن

## قراءة لتصور يوناني خيالي للقرآن

أورد المؤلف، على سبيل التهكم، قراءة يونانية للقرآن. وهذه إشارة لدخول كل من لا ناقة له ولا جمل في هذا الموضوع ليقول أي شيء يهدم الدين الإسلامي، وسوف يكون كلامه مسموعًا لدى غير المسلمين، وعلى هذا يفترض المؤلف أن الرأي اليوناني في القرآن كان سيقول: إن القرآن استعار من أرسطو مفهوم الفضيلة التي هي وسط بين رذيلتين وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقد أخذ القرآن فكرة أن النور هو المبدأ الأول من أفلوطين، وظهر ذلك في: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٥٣].

ويقرر الدكتور عبد الرحمن بعد عرض عدة شبهات يمكن أن يثيرها العقل اليوناني أن مثل هذه الأقوال الهزلية هي نفس أقوال المستشرقين مثل: هيرشفيلد، وجولد تسيهر، وهوروفيتز، وآخرون.

والكاتب إذ يلجأ إلى هذا الأسلوب التهكمي الأرسطي يريد أن يبين لنا أن أدلة المستشرقين لا تقوم في نقد القرآن أو إثبات صلته وتأثره بالمسيحية أو اليهودية على أساس منهجي صحيح.

(١) الدفاع عن القرآن ضد منتقديه ص ٩٤.

**حاشية:**

أما حديث فينسنك المزوّر، وكلامه المموّه عن استعارة القرآن الكريم لمفهوم الفضيلة التي هي وسط بين رذيلتين، فيتضح منه الشطط وقول الزور وفقدان الدليل؛ لأن فكرة الوسط الأرسطية تعرّضتْ لانتقادات علماء المسلمين وهدمتها من جذورها؛ إذ لم يضع أرسطو ضابطًا للفكرة، فإن الصدق -مثلاً- هو مطابقة الخبر للواقع، ويظهر تكلف أرسطو حين يقول: «إن الصدق وسط بين المتبجح وبين المتواضع الكاذب»[1]!

وفيما يتعلق بالعفة وكذلك الحلم لم يذكر مواقعه ومقداره وأين يحسن وأين يقبح، وكذلك الشجاعة وكذلك العلم لم يميز بين العلم الذي تزكو به النفوس وتسعد به من غيره، ولكن القرآن الكريم كان غاية في الوضوح والبيان، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فهذه الأنواع الأربعة التي حرمها تحريمًا مطلقًا لم يبح منها شيئًا لأحد، فالفواحش متعلقة بالشهوة وتعديل قوة الشهوة باجتنابها، والبغي بغير الحق متعلق بالغضب، وتعديل القوة الغضبية باجتنابه، أي: الغضب والشرك بالله ظلم عظيم، بل هو الظلم على الإطلاق، وهو مناف للعدل، وفساد العلم يرتبط بالقول على الله تعالى بغير علم، وهذه المحرمات المحرمة تحريمًا مطلقًا، بخلاف غيرها كالميتة والدم ولحم الخنزير فإنها تحرم في حال وتُباح في حال[2].

كذلك فإن تعريف أرسطو يعتريه الخطأ إما بالزيادة، وإما بالنقص، ويقسم تعريفه للفضيلة ببعض العموميات المجردة، أما القرآن مع السنة المفسرة له، فإنه أعطى لكل فضيلة مقياسًا محددًا بقدر كاف يسهل التعرف عليه، وتنعدم معه فرص الخ والالتباس، كما أن الوسط الحكم الذي يدعو إليه القرآن ليس «المتوسط الحسابي» هو «نقطة الذروة» اللتين يتأرجح بينهما فكر أرسطو، وإنما يتمثل في «نبل» يدنو يسمو

(١) د. كمال جعفر (الفلسفة العامة والأخلاق) ص ١٩٣-١٩٤.

(٢) ابن القيم (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة) ج٢ ص ١١٩ ط صبيح سنة ١٣٤١هـ.

الإمكان من الكمال مصحوبًا بالسرور وبالأمل، وهو ما عبّر عنه الرسول ﷺ في دعوته إلى الرفق فيما هو عدل في ذاته: «إن هذا الدين يُسر ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسدّدوا، وقاربوا، وأبشروا...»، وقوله ﷺ أيضًا: «يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا»(١).

## الفصل التاسع

### البسملة.. هل أصلها إنجيلي؟

يدعي نولدكه أن البسملة ترجع إلى استخدام لغة الإنجيل المتداولة والأصل العبري للعبارة، باسم يهوا في العهد القديم. ويرد المؤلف بأنها لم ترد في العهد القديم سوى مرة واحدة (ثم تدعو باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب يهوا) (سفر الملوك، الإصحاح ١٨٨ آية ٢٤). وواضح أنه ليس ثمة تشابه في هذا النص مع البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم).

## الفصل العاشر

### فشل أي محاولة لترتيب القرآن ترتيبًا زمنيًا

يشير المؤلف في هذا الفصل إلى قضية ترتيب القرآن ترتيبًا زمنيًا فيعرض أولاً لمحاولات المسلمين كابن النديم وعمر بن عبد الكافي، وأرجع المؤلف سبب اهتمام المسلمين بهذا الموضوع إلى اهتمامهم بمعرفة الناسخ والمنسوخ.

ثم يعرض لترتيب المستشرقين للسور، وأولهم نولدكه حيث قسّم السور إلى مدنية ومكية، وقسم الفترة المكية إلى ثلاث مراحل؛ **الأولى**: تشمل سورة قصيرة ذات آيات مفعمة بالصور، وإيقاعها قوي. **الثانية**: تشمل قصص الأنبياء والسور الأكثر طولاً. **الثالثة**: ذكر اسم الرحمن في هذا القسم، وتوالي وجود قصص الأنبياء.

---

(١) د. محمد عبد الله دراز (دستور الأخلاق في القرآن) ترجمة: خالد واري، ص ٤١٠/ ٤١١ باختصار، والحديثان رواهما البخاري في كتاب «الإيمان» ط مؤسسة اقرأ بالقاهرة، خلف الجامع الأزهر ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

وجاء بعد نولدكه جريم وأشبه ترتيبه للسور ترتيب سابقه، ثم عرض المؤلف للمستشرق ريجس بلاتير الذي تابع نولدكه فيما عدا اختلافات يسيرة، ثم تناول المؤلف ريتشارد بيل الذي عرض للترتيبين السابقين وأشاد بعمل نولدكه، واعترف بأن الترتيب الزمني لآيات القرآن أمر صعب. وخلاصة الأمر كما يقول المؤلف: «كل هذه المحاولات باءت بالفشل، ولقد كان المسلمون أكثر حذرًا؛ لأنهم اكتفوا بتقسيم ثنائي: سور مدنية وسور مكية، ومع هذا فإن تتابع السور مهما جاء في قوائم يظل افتراضيًا طالما لم يدعم تاريخًا»(1).

## الفصل الحادي عشر

## مشكلة الألفاظ غير العربية في القرآن

عرض المؤلف في هذا الفصل للألفاظ غير العربية في القرآن الكريم وما دار حولها من جدل، فمن المسلمين من يرفض القول بوجود ألفاظ غير عربية في القرآن مستدلين بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] ومن هؤلاء: الشافعي، وأبو عبيدة عالم فقه اللغة، والطبري المؤرخ المفسر، والباقلاني الفقيه الأشعري، وابن فارس عالم فقه اللغة وغيرهم. وعلى الجانب الآخر يقول فريق بوجود هذه الألفاظ في القرآن، ومن هؤلاء: ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة وأبو موسى الأشعري وأوردوا ألفاظًا تعود إلى لغات مختلفة، فقال المعارض إن اللغات قد تشير إلى نفس المسمى بنفس الألفاظ، وهذا من باب المصادفة.

واعترض ابن عطية في تفسيره على هذا التعليل من المعارضين وقال إن العرب بسبب اختلاطهم بغيرهم اكتسبوا ألفاظًا وعرّبوها فدخلت في نسيج العربية.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام مثل ذلك.

(1) الدفاع عن القرآن ضد منتقديه ص ١٢٣ .

ثم ذكر المؤلف قوائم الألفاظ التي أوردها العلماء مثل قائمة الزركشي وقائمة السيوطي، وقد اشتملت القوائم على كلمات فارسية مثل أباريق وأمهرية مثل ناشئة وهندية مثل سندس وبربرية مثل مهل ونبطية مثل سينين وسريانية مثل طور وعبرية مثل أليم وموجع ويونانية مثل طفق ورقيم.

وأضاف المؤلف أن العلماء أغفلوا اللغة اللاتينية رغم حضور الروم في الجزيرة، يقول: «وعلينا هنا أن نشير أن كلمة رومية تدل على اليونانية واللاتينية على حد سواء؛ ولهذا يتعين علينا البحث في هاتين اللغتين كلما ذكر الزركشي أو السيوطي في قوائمهما أن أصل اللفظ رومي، وتوصلنا باتباع هذا المنهج إلى النتائج التالية»[1]:

١- كلمة قسط، قسطاس أصلها لاتيني وهو Justus أي العدالة.

٢- كلمة برج أصلها لاتيني استعمل قبل القرن الرابع والخامس الميلادي وهو Burqus

٣- كلمة كهف أصلها لاتيني وهو Caves أي جوف.

٤- كلمة قنطار أصلها لاتيني هو Quinntal.

٥- كلمة سراط أصلها لاتيني وهو Stratr وتعني الدرب المبلط أو الطريق العريض.

## الفصل الثاني عشر

## حول العبارة القرآنية: (يا أخت هارون)

يعرض المؤلف لدفاع ريلاند عن الإسلام ضد المستشرقين الذين بالغوا في عدائهم لمحمد ولم يقوموا في نقدهم على أساس علمي دقيق.

وينقسم كتاب ريلاند (الديانة المحمدية) إلى قسمين؛ الجزء الأول: يتحدث فيه عن العقيدة من خلال سوْق نص إسلامي مختصر محقق، والجزء الثاني: أورد به إحدى وأربعين مسألة حول ديانة محمد، وقد شابه ياكوب ريلاند، فهو يتفق مع

(١) الدفاع عن القرآن ضد منتقديه ص ١٤٠ .

ريلاند في أن عدم الإلمام بالعربية هو السبب الرئيس في سوء فهم الأمور المتصلة بمحمد.

ثم يتوقف المؤلف مع سؤال ريلاند: هل صحيح ما جاء في القرآن من أن العذراء أخت هارون؟

ويجيب ريلاند عن السؤال بأنه قد جرى الادعاء بأن محمداً أكد في القرآن على أن مريم، أم يسوع المسيح، هي أخت هارون وموسى، ومن بين من يدعي ذلك يوحنا الدمشقي في كتابه الطوائف، ونيكولا دوكوز في كتابه نقد القرآن، ثم جاء أنورروس وكثيرون.

ويقول ريلاند إن القول بأن القرآن نادى مريم بأخت موسى غير صحيح؛ لأنه قال: (يا أخت هارون)، ثم يسأل: من هو هارون إن لم يكن أخا موسى؟

لقد استشهد ريلاند ببعض تفسيرات قام بها الفقهاء المسلمون مفادها أن العبارة معناها: أيتها المنحدرة من عائلة هارون. ورغم هذا التفسير الواضح صمم المستشرقون على اتهام محمد بالخلط بين زمن موسى وزمن عيسى ومن هؤلاء جريم، هورفيتز، فنسنك، بلاشير، رودي باريت.

ويقدم الدكتور بدوي بعد هذا العرض رأي الطبري وابن كثير في الآية، وخلاصة القول لديه أن المعنى: يا مريم المنحدرة من نسل هارون، وقد فهم مسيحيو ويهود المدينة والجزيرة ذلك؛ لأنه من لغة العرب أن تنسب الإنسان إلى قبيلته، وقد جاء في القرآن: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [هود: ٥٠].

## الفصل الثالث عشر

## مشكلة هامان

أثارت مسألة هامان جدلاً في أوساط منتقدي القرآن، فنولدكه يرى أن القرآن ربط بين شخصية هامان وزير فرعون وبين هامان وزير أحشويروش، ويرى الدكتور أن هذا زعم باطل لا يقوم على دليل، ويرجعهم إلى إنجيلهم الذي يزعمون أنه مصدر

القرآن فيقول إنه لم يربط بين هـامان بـابل وبين وزير فرعون، فمن أين جاء الخلط في القرآن؟

ثم يعرض المؤلف لتحقيق اسم هامان، فيتضح من التحقيق أنه ليس اسماً وإنما هو لقب لكبير كهنة فرعون، فهو يشبه أو يماثل الذي ينطق أيضًا أمانا ويقصد منه كبير الكهنة[1]، وبالاستناد على هذا الرأي يرى المؤلف أن وزير فرعون في زمن موسى هو هامان.

(١) راجع : الدفاع عن القرآن ص ١٨٦ .

# الفصل الثالث

# التشابه الكاذب بين القرآن والإنجيل

يحاول المؤلف في هذا الفصل الرد على المستشرقين القائلين بوجود تشابه بين القرآن والكتب المقدسة، وهم يستدلون بذلك على تأثر القرآن بهذه الكتب، ويذكر الدكتور بدوي المؤلفات التي دارت حول هذا الموضوع ويقسمها إلى صنفين: كتب ذات نزعة يهودية منها: العناصر اليهودية في القرآن لهيرشفيلد. وكتب ذات توجه مسيحي منها: أصل الإسلام في بيئته المسيحية لريتشاد بيل.

ويقرر الدكتور عبد الرحمن بدوي أن المستشرقين اتبعوا منهجًا عامًا مفاده أن محمدًا ﷺ الذي يتهمونه بتأليف القرآن قد استقى واستعار من الكتب المقدسة وشبه المقدسة، وعلى هذا يفترض به إتقانه للعبرية والسيريانية واليونانية وامتلاكه واطلاعه على الكتب المقدسة ومختلف كتب الصلوات وقرارات المجالس وأعمال الأدباء اليونانيين.

ومما لا شك فيه أن هذه الافتراضات غير معقولة؛ فحياة النبي ﷺ معروفة ولم يرد قط لدى المعاصرين والقدامى أن النبي قد امتلك مكتبة أو أتقن لغة.

ثم يعرض المؤلف بالتفصيل للمستشرق هارفيتنج هيرشفيلد الذي يدعي اعتمادًا على نصوص قرآنية ونصوص من الإنجيل أن هناك تشابهًا وتوازيًا بين الاثنين. ومن أمثلة التشابه المزعوم الذي قال به التشابه:

بين سورة النحل الآية ١٠ ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾، وبين المزمور ١٠٤ (المسقف علاليه بالمياه الجاعل السحاب مركبته الماشي على أجنحة الريح).

ويقرر الدكتور عبد الرحمن بدوي أن النصين يتناولان مسائل مختلفة فكيف رأى هيرشفيلد تشابهًا بين النصين، فالأول يذكر نعمة الماء ونفعه، أما المزمور فيتطرق للمنازل والسحب والرياح التي يمتطيها الله، وهي آية غاية في المادية؛ إذ تصف الخالق بصفات مادية، وهذا يتنافى مع التصور الإسلامي عن الله، وبالتالي يستحيل أن توجد في القرآن آية معادلة لآية المزمور.

ويصل الدكتور في النهاية إلى نتيجة مفادها أن الدراسات الثلاث لهيرشفيلد التي خصصها لبحث العلاقة بين القرآن والنصوص المقدسة اليهودية غير ذات قيمة تذكر؛ لأنها مبنية على تشابه خاطئ وعلى تحيز مفضوح وعلى افتراضات مرتجلة ينقصها الفهم.

ثم عرض المؤلف لموقف بعض المستشرقين من تشبيه النور في سورة النور آية ٢٥، يقول ماكدونالد إن الآية فيها إشارة إلى أنوار الهيكل في الكنيسة والعبارات القرآنية ذات علاقة بنور الكون في الإنجيل وبنور النور في مجمع نقيا.

ويرد عليه المؤلف بأن أنوار الهيكل في الكنيسة متعددة، بينما لم يرد في الآية سوى نور واحد، كما أنكم تقولون إن الله نور يأتي من نور وفي القرآن نور على نور، فالمعنى إذن مختلف في النصين.

ثم يعرض للمستشرق كليرمون جانو الذي يعقد تشابهًا بين الآية وبين فقرة من كتاب زكريا من العهد القديم يصف شمعدانًا من ذهب يعلوه كوز يحمل سبعة مصابيح وعلى يمينه وشماله شجرتا زيتون ولا يوجد هذا في الآية القرآنية فالآية ذكرت مصباحًا واحدًا؛ لأن الله واحد وفيها شجرة زيتون واحدة لا شرقية ولا غربية؛ لأنها شجرة روحية. ولما أقر كليرمون جانو أن محمدًا لم ير المصابيح المتلألئة في الكنيسة القسطنطينية وكنائس القدس قال إن تميمًا الداري هو الذي لقّنه ذلك، وهذا كلام لا دليل عليه.

جوزيف هورفيتز ومحاولته عقد شبه بين أيام الله وبين عبارة ميلها يا يهوا العبرية، فالأولى تعريب للثانية وهو تعريب بالقياس مع ما هو معروف بأيام العرب. ويدحض المؤلف هذه الشبهة بأن علماء اللغة والمعربون لم يقرنوا بين أيام الله وبين أيام العرب، فالأولى نعم الله ونقمته والثانية الحروب.

ويحاول المستشرق أيضًا في كتابه أسماء الأعلام اليهودية والاشتقاقات في القرآن؛ لإثبات أن الكلمات القرآنية: المعتكفات، أمر، أمانة، بركة، تبارك، بهيمة، مثاني،

خلاق، رب العالمين، سكينة، صدق، غزو، قيوم، ماعون، منهاج، جبار. كلمات مشتقة من العبرية وأن محمداً تعلّمها من اليهود في مكة وفي المدينة خاصة.

ويسجل الدكتور عبد الرحمن ملاحظات عن هذه الادعاءات الباطلة:

١- أن العربية والعبرية لغتان ذات جذع واحد، وهو الجذع السامي؛ مما يجعل المساحة المشتركة بينهما واسعة، وبالتالي فإن احتواء القرآن على مصطلحات بين العربية والعبرية لا يعني أن محمداً ﷺ قد استعارها من اليهود الذين عاصروه؛ فمن المحتمل أن تكون هذه المصطلحات قد تشكّلت في المخيلة العربية أجيالاً قبل الرسول لتصبح جزءاً لا يتجزأ من الثروة اللغوية العربية.

٢- بما أن تاريخ اللغة العربية قبل الإسلام يكاد يكون مجهولاً بسبب نقص النصوص المكتملة فإنه يصعب تحديد مصدر هذه الكلمات، هل أخذت من اللغة العربية إلى العبرية أو العكس. فلم يصلنا من فترة الجاهلية سوى بضع قصائد شعرية مشكوك في أصحابها، وفي أصالتها ومخطوطات نادرة وقصيرة تناولت مواضيع لا تسعفنا في بحثنا هذا؛ لهذا لا يمكن الجزم بأن محمداً قد استعار هذه الكلمات من اليهود[(١)].

ثم يقف المؤلف مع نماذج من الكلمات ليثبت أن ادعاءات المستشرقين لا أساس لها من الصحة. فمثلاً كلمة خَلَاق التي تعني نصيب ﴿ وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، يدعي هيرشفيلد في كتاب (أبحاث جديدة) أن نفس العبارة جاءت في ميشنا سنهدرين الذي وردت فيه كلمة: (إن لا هم حيليق من هاعو لام) لهم جزء من العالم.

أما هوروفيتز فيضيف قائلاً: والألف الممدودة تجعلنا نعتقد بأنها مشتقة من اللغة الآرامية؛ حيث نجد نفس الكلمة بشكل (لاحو لاق)؛ ولهذا نفترض أن محمداً قد اطلع على الكلمة في نصوص التأملات اليهودية، كما أن الكلمة مستعملة لدى المسيحية اليهودية بمعنى نصيب.

(١) الدفاع عن القرآن ضد منتقديه ص ٤٢.

وخلاصة القول طبقًا لقول هيرشفيلد، يكون محمد ﷺ قد اطلع على المشنا، وهذا يعني إتقانه للعبرية، أما طبقًا لهوروفيتز فإن محمدًا على علم بنصوص التأملات اليهودية وبالتالي على علم باللغة الآرامية، وهذا غير معقول.

ثم يعرض المؤلف للمستشرق هاينريش سبير تلميذ هوروفيتز صاحب كتاب (القصص الإنجيلية في القرآن)، حاول فيه إرجاع قصص القرآن إلى أصول إنجيلية فقال في ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢] إن بالآية أصولاً إنجيلية، ويعلق المؤلف على رأيه بأنه جمع بعض كلمات متناثرة من مقاطع مختلفة وادعى أنه توصل إلى أصل آية، وهذا غباء وإهانة للعلم. وتوقف المؤلف مع لفظ خاتم النبيين ليرد على هيرشفيلد وهوروفيتز، فقد زعما أنها جاءت غير مرة في الكتاب المقدس بمعنى الختم الذي يؤكد صحة وثيقة أو مخطوطة» وطبقًا لهذا التفسير فإن مهمة محمد قد انحصرت في التأكيد وكأنه موثق الشهر العقاري على صحة وحقيقة الوحي الذي نزل على الأنبياء الذين سبقوه.

ويرى المؤلف أن هذا رأي لا يمكن الاعتداد به؛ لأنه كيف يمكن لمحمد أن يؤكد على صحة نبوة رسل مختلفين، وعلى هذا صحة كتب مقدسة متعارضة وأحيانًا مزورة. إن التفسير الوحيد المقبول لدى المؤلف وهو المتفق عليه في العربية أن خاتم معناها: الأخير.

## ملحق رقم (٢)

## من معجزات القرآن الكريم:

### (أخبار الرسل وأممهم السابقة)[1]

(١) المصدر: دكتور شوقي ضيف (معجزات القرآن) ط دار الم

## الخاتمة

عرضنا في الصفحات السابقة لأحد مظاهر اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم، وهو جانب الدفاع عنه، وذلك من خلال عرض وتحليل كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوي الدفاع عن القرآن ضد منتقديه، وهو كتاب أخذ على عاتقه فضح وكشف مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم، ومن هذه المزاعم التي عرضت لها في البحث: مزاعم مرجليوث فيما يتعلق بلفظ مسلم ولفظ فرقان والقول بأن لهما أصولاً عبرية، ومما يتعلق بالصلاة وتحريم الخمر وأنواع من اللحوم. وقد رد عليه مؤلف الكتاب بما يدحض مزاعمه، وعرضنا لجولد تسيهر وتشابهاته الخاطئة بين القرآن واليهودية، وظهر أنها لا تستند على دليل علمي، وعرضنا لرأي فنسنك في مسألة الرسل وربطها بالرسل الاثنى عشر في المسيحية، وقد رد المؤلف على ذلك وفرّق بين النوعين، وعرضنا لمحاولة نولدكه في رد البسملة إلى أصل إنجيلي، والرد على ذلك، ثم عرضنا المشكلة التي أثارها المستشرقون حول عبارة يا أخت هارون، وعبارة يا هامان، والقول بأن القرآن يفتقر إلى الصحة لتداخل الزمان فيه، ولوقوعه في الخلط. وبينّا رد المؤلف على ذلك الزعم الواهي. وعرضنا أخيرًا للتشابه المزعوم بين القرآن والإنجيل في الفصل الثالث من هذا البحث، وبينّا رد المؤلف عليه بأنه لا يقوم على أساس علمي صحيح.

ونعرض الآن لأهم نتائج البحث، وكثير منها يتفق مع ما أورده المؤلف في مقدمة كتابه:

١- معرفة المستشرقين للغة العربية من الناحية الأدبية أو الفنية يشوبه الضعف.

٢- معلومات المستشرقين من مصادر عربية جزئية ناقصة غير كافية، فهم لم يتقصوا المسائل في مصادرها الأصلية ويقفوا على حلولها.

٣- ما يحرك بعض المستشرقين هو دافع الضغينة والحقد على الإسلام، فهم يفتقرون إلى الموضوعية مثل هوروفيتز، سبير، هيرشفيلد.

٤ -ذهب بعض المستشرقين إلى الإعلان أن القرآن تقليد للكتب السابقة، معتمدين على أساس واهٍ مثل: جولد تسيهر، نولدكه، مرجليوث، شوالي.

٥- بعض المستشرقين مدفوع بدافع التبشير والتعصب المتحفز مثل وليم سوير.

هذا، ويذكر الدكتور المهندس محمد الحسيني إسماعيل أنّ التاريخ العلمي يبيّن لنا أن القضايا والنظريات العلمية حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت تعتمد اعتماداً مباشراً على فرضيات أساسية تم إدراكها بالملاحظة المباشرة والاعتماد فيها على الحواس، بينما أخذت هذه القضايا العلمية منذ بداية هذا القرن (بالتحديد سنة ١٩٠٥م) (القرن العشرين) طابع العموميات، وأصبحت هذه القضايا تعتمد بدرجة كبيرة على أساسيات وفروض قاربت أن تدخل في حيّز الغيبيات، كما أن النظريات العلمية الكبيرة السابقة أصبحت تأخذ طريقها الآن في تواضع شديد لتكون حالات خاصة من نظريات أعم وأكثر شمولية.

(ص ١٢١ من كتابه بعنوان: «الحقيقة المطلقة: الله والدين والإنسان»، مطابع الأهرام بالقاهرة سنة ١٩٩٥م).

عدّد الدكتور شوقي ضيف المعجزات الكثيرة للقرآن الكريم؛ حيث خاض العلماء في معجزاته، فمن قائل بالصّرفة؛ إذ صرف الله تعالى العرب عن الإتيان بمثله، ومعجزة سماعه وتلاوته؛ إذ كانت تلاوته وسماعه يروّعون المشركين في مكة روعة شديدة فيدخلون في الإسلام، ومعجزة إنباء القرآن الكريم بالغيب؛ إذ أنبأ المؤمنين بنصرهم على أعدائهم المشركين واليهود ودخل الناس في الإسلام أفواجًا، ومن معجزات القرآن الكريم: المعجزتان العلمية والحضارية، ويتضح ذلك في نقل أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة إلى أمة علمية لها دورها العلمي العالمي العظيم، والمعجزة البلاغية للقرآن الكريم الذي أحكمت آياته وبهرت كلماته وبلغ الذروة من البيان والبلاغة، وتحدى العرب مرارًا وتكرارًا طوال ثلاث وعشرين سنة أن يأتوا بحديث من مثله أو بسورة على شاكلته وهم محجمون عن مماثلته، مذعنون لروعته، مسلّمون يعجزهم عن الإتيان بما يضاهيه معترفون بإعجازه البلاغي وأنه خارج بأسلوبه وصياغته عن قدرة البشر[1].

وكذلك معجزة (أخبار الرسل وأممهم السابقة).

وقد عُني الدكتور شوقي ضيف بهذه المعجزة من معجزات القرآن الكريم، وهي أخبار الرسل وأممهم السابقة، وكان لا يعلم أخبار قصصهم إلا أفراد من أحبار أهل الكتاب أفنوا أعمارهم في التعرف عليها، وكان الرسول ﷺ يأتي بها صحيحة مع أنه لم يتعلمها؛ إذ كان أمّيًا لا يقرأ ولا يكتب، وكان أهل الكتاب يعرفون ذلك، وكانوا يسألونه عن بعض ما غمض من أخبارهم وينزل القرآن بإجابته لهم، مثل سؤالهم عن الروح وعن يوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين، يجيب عن كل ذلك وما يماثله، ولم يكذبوه في شيء منها، بل آمن به نفر من اليهود مثل ابن سلام وغيره، وكان القرآن يصحح لهم كثيرًا من أنبائهم؛ إذ يقصّها لهم الذي شهدها ورآها: رب العزة، الذي صحّحها وأعاد إليها ما سقط منها[2].

(١) د. شوقي ضيف (معجزات القرآن) ص ٦٥/ ٦٦ باختصار، دار المعارف سنة ٢٠٠٢م.

(٢) د. شوقي ضيف (معجزات القرآن) ص ٦٦ ط دار المعارف سنة ٢٠٠٢م.

لذلك خصّص الدكتور شوقي ضيف فصلاً كاملاً بكتابه (معجزات القرآن)[1] للحديث عن إضافات مهمة إلى قصص الرسل وشعوبهم لم تذكرها التوراة، من ذلك رسالة هود إلى قومه عاد في إقليم الأحقاف باليمن. ومنها في قصة آدم والحوار بين الله تعالى وملائكته في أوائل سورة البقرة عن خلقه لآدم وذريته وتعليمه أسماء الموجودات وعصيانه لربه عز وجل وطاعته لإبليس، وهبوطه من الجنة مع حواء إلى الأرض. ومنها في قصة نوح عصيان ابن له عن ركوب السفينة للنجاة من الطوفان، فكان من المغرقين. ومنها في قصة إبراهيم رحلته مع ابنه إسماعيل وأمه إلى جوار زمزم بمكة. وفي إحدى زياراته له -حين كبر- بنيا الكعبة لعبادة الله تعالى وإقامة الحج بها سنويًا. وتكثر الإضافات في قصة يوسف وصححت ما دخل عليها من تحريفات في التوراة، وأعادت إليها ما سقط من بعض المواقف والأحداث. وقصة موسى القرآنية كقصة يوسف في التوراة؛ إذ تكثر فيها التحريفات والإضافات مثلها، ويذكر القرآن لموسى تسع معجزات مجملة في سورة الإسراء ومفصلة في سورة الأعراف وقعت جميعها في مصر وسيناء؛ حيث دخل على بعضها التحريف في التوراة، وسقطت منها قصة «المؤمن» في سورة غافر وموعظته لفرعون وملئه، وقصة امرأة فرعون في سورة النجم التي آمنت بموسى ودعت ربها أن يبني لها بيتًا في الجنة[2].

ويمضي الدكتور شوقي ضيف ليبين الاختلافات بين القرآن الكريم والتوراة، منها النقض الذي اكتشفه في التوراة عن حوار نوح وابنه لإنقاذه في سورة هود، ومثلها ما اتصل بها من نداء نوح ربه عز وجل لإنقاذ ابنه من الغرق قائلاً: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥] فأجابه ربه عز وجل: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦] بما سولت له نفسه من الكفر ﴿إِنَّهُ

---

(١) وهو الفصل الرابع من الكتاب (من ص ١٠٣ إلى ص ١٣٣)؛ لذلك رأينا ضمّه إلى الملحق الأول من كتابنا الذي يتضمن مختصراً لنقد الدكتور عبد الرحمن بدوي للمستشرقين وفضح افتراءاتهم على القرآن الكريم. وكذلك فعل الدكتور شوقي ضيف بكتابه (معجزات القرآن الكريم) محققًا نفس الهدف.

(٢) د. شوقي ضيف (معجزات القرآن) ص ٤/ ٥ ط دار المعارف سنة ٢٠٠٢م.

**عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [هود: ٤٦] ، ﴿ **إِنِّي أَعِظُكَ** ﴾ [هود: ٤٦] ﴿ **أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [هود: ٤٦].

ويقول الله تعالى إن الفلك التي جرت بنوح ومن معه، في موج كالجبال، وفي الإصحاح السابع من سفر التكوين في التوراة أن الطوفان كان أربعين يومًا على الأرض وتعاظمت المياه وتكاثرت جدًا وغطت جميع الجبال، فمات كل كائن على الأرض. وفي الإصحاح الثامن أن الطوفان بعد مائة وخمسين يومًا أخذ يتناقص تدريجيًا واستقر الفلك في الشهر السابع على جبال أراراط، وهي جبال أرمينيا في شمال العراق، وفي الإصحاح الثامن من سفر التكوين أن رؤوس الجبال ظهرت في الشهر العاشر، وظلت المياه نحو شهرين تتناقص عن وجه الأرض حتى انكشف تمامًا لنوح ومن معه في الفلك. وربّما كان في هذا التحديد لمدة الطوفان شيء من المبالغة أدخل على التوراة. وفي سورة هود أنه حين رست السفينة أو الفلك، قيل لنوح: ﴿ **اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [هود: ٤٨] ، ويشير آخر الآية أنه كان وراء أمة نوح أمم أخرى سيمتعهم الله في الدنيا ثم يبعثون فيصيبهم من الله عذاب أليم، ويخالف القرآن التوراة مخالفة صريحة في أن النوع الإنساني كان منتشرًا في الأرض زمن نوح، وأن الطوفان لم يعم الأرض إنما عمّ إقليم نوح في ديار أرمينيا أو ديار بكر، وسلمت منه بقية الأرض(١).

وأخرى تختص بامرأة نوح، فقد ذكر معجزة الطوفان بالإصحاحات في سفر التكوين من السادس إلى التاسع أنها دخلت في سفينة نوح وخرجت منها حين رسوّها مع نوح والناجين من الطوفان. ويعني ذلك أنها كانت مؤمنة به وبرسالته الربانية، بينما يقول الله تعالى في الآية العاشرة من سورة التحريم ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا**

(١) نفسه ص ١٦ .

مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾، والمتبادر أن خيانة الزوجة في الآية الكريمة إنما كانت خيانة دينية وبما جاء إليه من رسالة. ويختم الله تعالى معجزة الطوفان وحواره مع نحو عن ابنه الكافر بقوله مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩]، وأيضًا لم يكن اليهود يعرفون كل تفاصيلها؛ إذ لم يذكر في هذه المعجزة التي خصّ الله بها نوحًا عن ابنه كما رأينا فكان من المغرقين.

وأيضًا ذكر في التوراة أن امرأة نوح ركبت الفلك معه فكانت من الناجين، بينما ذكر القرآن الكريم أن امرأة نوح خائنة، ولم يذكر ذلك في التوراة، وجاء في التوراة أن هذا الطوفان عم الأرض، وكل هذه مخالفات بين القرآن والتوراة في قصة الطوفان، ومثلها مخالفات كثيرة بينهما في قصص الرسل التالين لنوح[(١)].

وعن موسى وقصة حياته؛ فقد وردت في سورة القصص أن امرأة فرعون قالت لفرعون: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]، بينما ورد في سفر الخروج أنها لم تكن امرأة فرعون وإنما كانت ابنته، وهو تحريف دخل في التوراة، ويصحح القرآن قصة موسى في التوراة بمواضع متعددة[(٢)] وتضطرب آيات موسى أو معجزاته بعد العصا واليد البيضاء في سفر الخروج؛ إذ لم تكن فيه آية السنين ونقص الثمرات وآية الطوفان، واضطربت آية الدّم، ولا تذكر في سفر الخروج آية القمل، وتوضع مكانها في سفر الخروج آيتان: آية البعوض وآية الذباب، وتضاف إلى آيات سفر الخروج آية برد يُهلك الدواب والأنعام في جميع أرض مصر، وأرضها -حتى اليوم- لا تعرفه، كما يضاف إظلام أرض مصر ثلاثة أيام متعاقبة، لا تطلع فيها الشمس، ولعل ذلك مبالغة، ويضاف في الإصحاح الثاني عشر موت كل بكر من الناس. وفي كل ذلك اضطراب بالقياس إلى آيات موسى في القرآن الكريم ومعجزاته[(٣)].

---

(١) نفسه ص ١٧.
(٢) نفسه ص ٢٢.
(٣) نفسه ص ٢٩.

وبالموازنة بين ما ورد بالقرآن الكريم وبين الأناجيل وكتب النصارى، سرد الدكتور شوقي ضيف الآيات القرآنية عن ميلاد مريم ونذر أمها في بطنها وعبادتها لربها في محرابها ولقاء الملائكة وجبريل لها مبشرًا بحمل عيسى وولادتها له وكلامه في المهد، كل ذلك مما جاء في سورتي آل عمران ومريم ولم يذكر منه شيء في الأناجيل، ويحق بقول الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

إن الواضح مما جاء بالقرآن الكريم في سورتي آل عمران ومريم معجزتان عظيمتان: معجزة ميلاد المسيح بكلمة التكوين الإلهية دون أب، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وعيسى دون أب فحسب، وتلك مشيئة الله تعالى ولا راد لمشيئته. والمعجزة الثانية لعيسى كلامه في المهد مما لم يحدث لأي إنسان أن يتكلم وهو طفل رضيع(١).

وكانت أول معجزة لعيسى في آية سورة آل عمران أنه كان إذا خلق من الطين وأبدع ما يشبه صور الطير ثم نفخ فيه فإنه يصبح طيرًا حقيقيًا، وذلك كما يقول عيسى بإذن الله حتى ينفي توهم مشاركة الله تعالى في خلق الكائنات. ولم تذكر الأناجيل هذه المعجزة العظيمة لعيسى وذكرها القرآن الكريم؛ لأن الله تعالى -وحده- هو الذي يعرف كل ما أجرى على يديه من معجزات بإذنه(٢).

وبالموازنة بين ما جاء بالقرآن الكريم وما ورد بالتوراة عن إبراهيم عليه السلام، يتضح أنه ليس في سفر التكوين بالتوراة أي شيء عن رحلته بهاجر وابنه إسماعيل إلى وادي مكة وبنائه مع إسماعيل فيها الكعبة، وبالمثل ليس فيه شيء عن فريضة الحج إليها في شريعته وأنها أول بيت وضع لعبادة الله تعالى في الأرض، كما أنه ليس فيها شيء من أخبار إبراهيم في حياته بديار الكلدانيين ومحاجته العنيفة لهم ولأبيه بسبب ضلالهم وشركهم ووجوب عبادة ربهم عز وجل، وكيده لأصنامهم بتحطيمها

(١) نفسه ص ٣٣.
(٢) نفسه ص ٣٥/٣٦.

وإلقائهم له في النار وأمرها الله تعالى أن تستحيل بردًا وسلامًا، تلك الأحداث لم يكن يعرفها اليهود ولا العرب؛ إذ كانت من أنباء الغيب الذي لا يعرفه إلا الله تعالى، وأمثالها في قصص الرسل، وهي تضاعف فكرة الإعجاز بالقرآن وقصص الأنبياء فيه[1].

هنا، ونلاحظ أنه بالرغم من كثرة ما عرضه الدكتور شوقي ضيف من تلك القصص، إلا أنه يقرّر (إن قصص التوراة والقرآن في حاجة إلى كتاب يقارن بينهما مقارنة دقيقة[2].

(١) نفسه ص ١١٥ .

(٢) نفسه ص ٢١ .

## المراجع

١- (آراء فلسفية في أزمة العصر) أدرين كوخ، ترجمة محمود محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، سبتمبر سنة ١٩٦٣م.

٢- ابن الجوزي (مناقب عمر) ص ١٧٠ مكتبة الأسرة.

٣- ابن القيم (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة) ج٢ ص ١١٩ ط صبيح سنة ١٣٤١هـ.

٤- أرمسترونج (القدس، مدينة واحدة) ص ١٨٠.

٥- العبد، عبد اللطيف محمد (رد مزاعم المبطلين عن أصول الدين) دار الهاني - الطبعة الثانية ٢٠٠م.

٦- الفلسفة الإسلامية: مدخل وقضايا ص ٥٧.

٧- القرآن الكريم.

٨- ألكسيس كاريل (الإنسان ذلك المجهول) ص ٤١ ترجمة عادل عبد السميع أحمد ?دار العلم للجميع -مكتبة المعارف.

٩- بدوي، عبد الرحمن (الدفاع عن القرآن ضد منتقديه) مدبولي الصغير الطبعة الأولى.

١٠- بول تود وآخران (صناعة الأكاذيب والجواسيس) ص ٢٠٣ ترجمة علاء الدين عبد الرحمن -إصدارات سطور الجديدة-القاهرة سنة ٢٠١٠م.

١١- بول ديفيد وجون جريبين (أسطورة المادة: صورة المادة في الفيزياء الحديثة) ص٢٣، ترجمة مهندس علي يوسف علي -الهيئة العامة المصرية للكتاب سنة ١٩٩٨م.

١٢- جون كوكر ص ١٥ نفس المصدر، وينظر ظهر الغلاف.

١٣- د. جلال أمين (خرافة التقدم والتأخر -العرب والحضارة الغربية في القرن الواحد والعشرين)، ص (١٤١-١٤٣).

١٤- د. كمل جعفر (الفلسفة العامة والأخلاق) ص ١٩٣-١٩٤ .

١٥- د. إمام عبد الفتاح (مقدمة لكتاب الفكر الشرقي القديم) لمؤلفه جون كوكر، ترجمة كامل يوسف حسن (عالم المعرفة)، الكويت، صفر ١٤١٦هـ -يوليو ١٩٩٥م.

١٦- د. حسين مؤنس (التاريخ والمؤرخون) ص ١٧٦- دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٤م.

١٧- د. سعيد اللاوندي (القرن الحادي والعشرون: هل يكون أمريكيًا) ص ١٠٦ ط نهضة مصر يناير ٢٠٠٢م.

١٨- د. عبد الوهاب المسيري (العالم من منظور غربي) ص ١٥٥ دار الشروق ٢٠١٧م.

١٩- د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، بحث بعنوان (تدريس الفلسفة) ص ٣٥٩ .

٢٠- د. أحمد زكريا الشلق (الحداثة والإمبريالية - الغزو الفرنسي وإشكالية نهضة مصر) ص ٢١ . ٢٤ ط، دار الشروق، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٨م. مكتبة الأسرة ٢٠٠٨م.

٢١- د. جلال أمين (عولمة القهر) ص ١٨٣ ط دار الشروق ١٤٢٢هـ -٢٠٠٠م.

٢٢- د. جلال أمين (مستقبليات - مصر والعرب والعالم في منتصف القرن ٢١)، ص ٧٩ . ٨٠ كتاب -الهلال-أبريل سنة ٢٠٠٤م.

٢٣- د. حسين مؤنس (الشرق الأوسط في العصر الحديث) ص ٨٥ ط مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢٤- د. زيغيريد هونكه (شمس العرب تسطع على الغرب) ص ٥٤١ .

٢٥- د. زينب عبد العزيز (تنصير العالم) ص ١١٦ ط دار الوفاء بالمنصورة سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٢٦- د. عائشة عبد الرحمن -بنت الشاطئ-: (تراثنا بين ماض وحاضر) ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٩١ .

٢٧- د. عبد الرحمن بدوي (دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي) صفحات ٣٧، ٤٢، ٢٤٥، ٢٥٢ ط مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٧م .

٢٨- د. عبد العزيز محمد الشناوي (عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية) ص ٦٢ سلسلة (أعلام العرب) ط دار الكتاب العربي -مصر العدد (٦٧) يوليو ١٩٦٧م.

٢٩- د. عبد الكريم عثمان (معالم الثقافة الإسلامية) ص ١٠٢ ط ٣ مؤسسة الأنوار - الرياض.

٣٠- د. عصمت حسين سيد نصار (موقف إقبال من الحضارة الغربية) ص ٤١ ط سنة ٢٠٠١م بدون اسم الناشر.

٣١- د. عفاف فوزي نصر (الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية) ص ١٢ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠١٥م.

٣٢- د. علي مشرفة بك (العلم والحياة) ص ٩٦ سلسلة (اقرأ) العدد ٣٨ -يناير ١٩٤٦- دار المعارف بمصر.

٣٣- د. مجدي محمد عاشور (السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم: أصول وضوابط) ص ٤٢٨ ط دار إسلام بالقاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٤- د. محمد عبد الله دراز (دستور الأخلاق في القرآن)، ترجمة خالد واري، ص ٤١٠ . ٤١١ باختصار.

٣٥- د. محمد يوسف موسى، مقدمة كتاب بول ماسون -أورسيل (الفلسفة في الشرق) ص ٥ وهو مترجم الكتاب. دار العالم العربي -مدينة نصر بالقاهرة ٢٠١٩م.

٣٦- دكتور شوقي ضيف (معجزات القرآن) ط دار المعارف سنة ٢٠٠٢م.

٣٧- روجيه جارودي (الإرهاب الغربي) ج ١ ص (٤١)، تعريب د. داليا الطوخي، د. ناهد عبد الحميد.

٣٨- روجيه جارودي (الولايات المتحدة.. طليعة الانحطاط) ص ٢٣٩، ترجمة مروان خموي، ط دار الكاتب -دمشق ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣٩- روجيه دوبا باسكويه (إظهار الإسلام) ص ١٥٤. ١٥٥ ط الشروق سنة ١٩٩٤م.

٤٠- روجيه دوبا سكويه (إظهار الإسلام) ص ٩ دار الشروق سنة ١٩٩٤م.

٤١- رينيه جينو (أزمة العالم المعاصر) ص ٨٢، ٨١ ترجمة سامي عبد الحميد، ط. دار النهار بالقاهرة سنة ١٩٩٦م.

٤٢- شريف، محمد إبراهيم (بحوث في تفسير القرآن الكريم) مطبعة العمرانية للأوفست -الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.

٤٣- طاهر، حامد (الفلسفة الإسلامية: مدخل وقضايا) المطبعة الإسلامية الحديثة.

٤٤- عبد الله بن علي العليان (مقال بعنوان «مقاربات غير دقيقة في مسألة التباين مع الغرب) ص ٧٢ (المنار الجديد) ربيع-صيف ١٤٣٣هـ-يونيو ٢٠١٢م.

٤٥- كارين أرمسترونج، القدس (مدينة واحدة، عقائد ثلاث)، ص ١٢، ترجمة د. فاطمة نصر ود. محمد عناني - مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م.

٤٦- مالك بن نبي (مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي) ص ١٩٢، ترجمة محمد عبد العظيم، مكتبة عمار بالقاهرة سنة ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

٤٧- محمود شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ص ٣٤ مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢ ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٤٨ - مريم جميلة (الرسائل المتبادلة بين أبو الأعلى المودودي ومريم جميلة عن الدعوة وهموم المسلمين) ص ٢٦ . ٢٨ باختصار، ترجمة: طارق السيد خاطر، ط المختار الإسلامي ١٩٩٢م.

٤٩ - نادية المديوني (هكذا تكلم رجاء جارودي -شهادة حضارية على عصره والأساطير الإسرائيلية)، ص ١٩١ كتاب المجلة العربية -العدد ٢٤١ ١٤٣٧هـ - الرياض.

## الفهرس

# آراء حول أزمة

# حضارة العصر وسُبل إنقاذها

## ومقالات أخرى

محمد رجب

الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة